الفصل العشرون بعد المئة

أمية الجاهليين

الشائع بين كثير من الناس ان العرب قبل الاسلام كانوا في جهالة عمياء وضلالة، لا يقرأون ، ولا يكتبون ، وان الكتابة كانت قليلة بينهم ، واستدلوا على رأيهم هذا باطلاقهم لفظة (الجاهلية) على ايامهم ، وبما جاء من انهم كانوا قوماً (أميين لا يكتبون) . واستدلوا على ذلك بحديث ذكر ان الرسول قاله ، هو « إنا أمة أميّة لا نكتب ولا نحسب »[1] .

وقد تحدثت في الجزء الأول من هذا الكتاب عن معنى (الجاهلية) ، وعن الآراء التي قيلت فيها ، حديثاً فيه إفاضة وإحاطة ، وقد قلت فيما قلته ان تفسير الجاهلية بالجهل ، الذي هو ضد العلم ، تفسير مغلوط ، وان المراد من الجاهلية السفه والحمق والغلظة والغرور ، وقد كانت تلك أبرز صفات المجتمع الجاهلي آنئذ ، وتحدثت في كتابي : (تأريخ العرب قبل الاسلام) عن معنى الأمية وذلك في اثناء كلامي على أميّة الرسول وآراء العلماء فيها من مسلمين ومستشرقين[2]، وقلت ان للأمية معنى آخر غير المعنى المتداول المعروف ، وهو الجهل بالكتابة والقراءة . فقد ذكر (الفرّاء) وهو من علماء العربية المعروفين ، ان الأميين هم

---

١ البيان والتبيين (٣/٢٨) ، الصاحبي (٨/١١) ، تفسير القرطبي (٢/٥) ، البقرة الاية ٨٧ ، اللسان (١٢/٣٤) ، (أمم) ، تاج العروس (٨/١٩١) ، (أمم) .

٢ الصفة ١٣٦ وما بعدها .

العرب الذين لم يكن لهم كتاب[1] . ويراد بالكتاب . التوراة والانجيل . ولذلك نعت اليهود والنصارى في القرآن بـ (اهل الكتاب) ، وهذا المعنى يناسب كل المناسبة لفظة (الأميين) الواردة في القرآن الكريم ، وتعني الوثنيين اي جماع قريش وبقية العرب ، ممن لم يكن من يهود وليس له كتاب .

وللعلماء آراء في الأمية ، وذلك لما لها من صلة بالرسول ، ولما كان القرآن قد نعت قوم الرسول بالأميين ، وجعل الرسول أمياً مثلهم، فقد ذهبوا الى ان العرب كانوا قبل الاسلام أميين بمعنى انهم كانوا لا يقـرأون ولا يكتبون إلا من شذّ منهم وندر ، وإلا أفراداً من أهل مكة ، زعموا انهم تعلموا الكتابة من عهد غير بعيد عن الاسلام ، ولو أخذنا أقوالهم مأخذ الجد ، وجب علينا القول بأنهم انما تعلموها في حياة الرسول اي قبل الوحي بسنين ليست بكثيرة ، وان مكة كانت المدينة الوحيدة التي عرفت الكتابة في جزيرة العرب ، وهو كـلام لا يقوم على علم . فقد كان بيثرب كتّاب يكتبون بكتاب مكة ، وكان في أماكن أخـرى كتّاب يكتبون بكتابهم أيضاً ، فضلاً عن انتشار الكتابة بالمسند في العربية الجنوبية وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب .

والرسول أمي ، لم يقرأ ولم يكتب ، فإذا أراد كتابة رسالة او عهد او تدوين للوحي ، أمر كتابه بالتدوين . على ذلك أجمع المسلمون . وقد وردت في القرآن آيات مثل : « اقرأ باسم ربك »[2] ، وآية : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون »[3] . اخذها البعض على ان فيها دلالة على ان النبي كان يقرأ ويكتب ، واستدل أيضاً ببعض مـا ورد في كتب الحديث والسير ، وفيه ما يفيد انه كان ملماً بالقراءة والكتابة . كالذي ورد في صلـح (الحديبية) انه « هو الذي كتب الكتاب بيده الشريفة. وهو ما وقع في البخارى»[4]. وما جاء في السيرة لابن هشام : « فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يكتب

---

١ المفردات (ص ٢٢) .

٢ سورة اقرأ ، الآية الاولى .

٣ العنكبوت ، الاية ٤٨ ، تفسير الطبري (٤/٢١) .

٤ الروض الانف (٢/٢٣٠) ، الحلبية (٣/٢٣ وما بعدها) .
Nöldeke, Geschichte des Qorâns, I, S. 13.

الكتاب هو وسهيل »[1] . وما جاء في البخارى : « وأخـــذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الكتاب ليكتب ، فكتب هذا ما قاضى عليه محمد »[2] . وقالوا ان في هذا المذكور وفي غيره من مثل ما ورد من ان الرسول « لما اشتد وجعه ، قال : ائتوني بالدواة والكتب اكتب لكم كتاباً لا تضلون معه بعدي أبداً »[3] ، ومثل ما ورد « في حديث أبي بكر رضي الله عنه ، انه دعا في مرضه بدواة ومزبر فكتب اسم الخليفة بعده »[4]،دلالة صريحة على قدرته على الكتابة والقراءة[5] .

وللعلماء كلام في الأدلة المذكورة ، ولهم آراء في تفسير الآيات التي تعرضت لموضوع الأمية . والأمي في تفسير علماء اللغـــة من لا يكتب ، او العيّ الجلف الجافي القليل الكلام . قيل له أُمي لأنه على ما ولدته أمه عليه من قلة الكـــلام وعجمة اللسان[6] ، او الجهل التام بالقراءة والكتابة . « لأن أمـة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب »[7] ، او لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة او عديمة[8] ، او الأمي الذي على خلقة الأمة ، لم يتعلم الكتاب ، فهو على جبلته . وقد ورد في الحديث : « إنا أمة أمية لا نكتب »[9] ، او « إنا أمـــة أمية لا نكتب ولا نحسب »[10] ، او « بعثت الى أمة أمية » ، فذهبوا الى ان العـــرب كانوا على أصل ولادة أمهم ، لم يتعلموا الكتابة ولا الحساب ، فهم على جبلتهم الأولى . « وكل شيء للعرب ، فإنما هو بديهة وارتجال ... ثم لا يقيـده على نفسه ولا

---

١ Nöldeke, I, S. 13.

٢ الروض الانف (٢/٢٣٠) ، الطبري (٣/٨٠) ، (السنة السادسة) ، (٢/٦٣٥) (دار المعارف) ، الحلبية (١/٢٤) .

٣ البلاذري (١/٥٦٢) ، (ائتوني باللوح والدواة ـ أو بالكتف والدواة ـ أكتب لكم كتابا لا تضلون بعده) ، (أئتوني أكتب كتابا لا تضلوا بعدي أبدا) ، الطبـــري (٣/١٩٢ وما بعدها) ، (دار المعارف) .

٤ تاج العروس (٣/٢٣١) ، (زبر) .

٥ Nöldeke, I, S. 12. ff.

٦ اللسان (١٢/٣٤) ، (أمم) .

٧ تاج العروس (٨/١٩١) ، (أمم) .

٨ تاج العروس (٨/١٩١) ، (أمم) .

٩ اللسان (١٢/٣٤) ، (أمم) .

١٠ تاج العروس (٨/١٩١) ، (أمم) ، المفردات (٢٢) .
اللسان (١٢/٣٤) ، (أمم) .

يدرسه احداً من ولده . وكانوا اميين لا يكتبون »[1] .

وقد وردت في القرآن الكريم لفظة (الأمي)[2] ، و (أميون)[3] ، و (اميين)[4] ، ونعت الرسول بـ (النبي الأمي)[5] ، وردت في سور مكيـــة وفي سور مدنية . وردت لفظة (الأمي) في سورة الأعراف ، وهي من السور المكية ، ووردت لفظة (أميون) و (الأميين) في سورة البقرة ، وسورة آل عمران ، وسورة الجمعة ، وهي من السور المدنية . ويلاحظ ان الآيتين المكيتين،خاصتان بالرسول، فنعت فيها بـ (النبي الأمي) ، اما الآيات المدنية ، فقد قصد بها (الأميين) ، الذين ليس لهم كتاب . بمعنى المشركين .

وقد بحث (الراغب الاصبهاني) في معنى (الأمية) فقال : « والأمي : هو الذي لا يكتب ولا يقرأ من كتاب وعليه حمل:هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم . قال قطرب : الأمية : الغفلة والجهالة . فالأمي منـــه ، وذلك هو قلة المعرفة . ومنه قوله تعالى : ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب إلا اماني ، اي إلا ان يتلى عليهم . قال الفراء : هم العرب الذين لم يكن لهم كتاب . والنبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل ، قيل منسوب الى الأمة الذين لم يكتبوا لكونهم على عادتهم . كقولك عامي لكونه على عادة العامة . وقيل : سمي بذلك لأنه لم يكن يكتب ولا يقرأ من كتاب ، وذلك فضيلة له لاستغنائه بحفظه واعتماده على ضمان الله منه بقوله : سنقرئك فلا تنسى . قيل سمي بذلك لنسبته الى أم القرى »[6] .

وقد ذهب بعض العلماء الى ان الأميين من لا كتاب لهم من الناس ، مثـــل الوثنيين والمجوس ، قال الطبري في تفسير الآية : « وقـل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا »[7] : « يعني بذلك جل ثناؤه ، وقل

---

١ البيان والتبيين (٣/٢٨) .
٢ الاعراف ، الاية ١٥٦ وما بعدها .
٣ البقرة ، الآية ٧٨ .
٤ ال عمران ، الاية ١٠ ، ٧٥ ، الجمعة ، الاية ٢ .
٥ الاعراف ، الاية ١٥٦ وما بعدها .
٦ المفردات في غريب القرآن (٢٢) .
٧ آل عمران ، الرقم ٣ ، الاية ٢٠ .

يا محمد للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والأميين ، الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب أأسلمتم .. »[1] . وذهب كثير من المفسرين الى ان الأميين الذين لا كتاب لهم ، اي الذين ليسوا يهوداً ولا نصارى . وورد : « ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، كان يكره ان يظهر الأميون من المجوس على اهل الكتاب من الروم »[2] . قال الطبري : « وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، يكره ان يظهر الأميون من المجوس على اهل الكتاب من الروم ، ففرح الكفار بمكة وشمتوا ، فلقوا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : انكم اهل كتاب والنصارى اهل كتاب ، ونحن اميون ، وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من اهل الكتاب »[3] . فالمسلمون اهل كتاب ، والمجوس اميون كمشركي مكة وبقية العرب المشركين ، لا لكونهم لا يقرأون ولا يكتبون ، بل لأنهم لم يؤمنوا بالتوراة والانجيل .

ويلاحظ ان الآية : « وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين »[4] ، والآية : « ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ، ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك إلا ما دمت عليه قائماً ، ذلك بأنهم قالوا : ليس علينا في الأميين سبيل »[5] ؛ والآية : « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا اماني »[6] ، وكذلك: « هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم »[7] ، لا تؤدي معنى الأمية ، بمعنى الأمة الجاهلة بالقراءة والكتابة ، لعدم انسجام التفسير مع المعنى ،وانما تؤدي معنى وثنية ، اي امة لم تؤمن بكتاب من الكتب السماوية ، اي في المعنى المتقدم .

«والأمي والأمان –بضمهما– من لا يكتب او من هو على خلقة الأمة لم يتعلم الكتاب ، وهو باق على جبلته . وفي الحديث: إنا أمة امية،لا نكتب ولا نحسب . اراد انه على اصل ولادة امهم ، لم يتعلموا الكتابة والحساب ، فهم على جبلتهم الأولى .

---

١ تفسير الطبري (١٤٣/٣)
٢ روح المعاني (١٧/٢١ وما بعدها) ، (كان المسلمون يحبون أن تغلب الروم أهل الكتاب ، وكان المشركون يحبون أن يغلب أهل فارس لانهم أهل أوثان) ، تفسير الطبري (١٢/٢١ وما بعدها) .
٣ تفسير الطبري (١٣/٢١) .
٤ ال عمران ، الرقم ٣ ، الاية ٢٠ .
٥ ال عمران ، الرقم ٣ ، الاية ٧٥ .
٦ البقرة ، الرقم ٢ ، الاية ٧٨ .
٧ الجمعة ، الرقم ٦٢ ، الآية ٢ .

وقيل لسيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، الأمي لأن امة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب ، وبعثه الله رسولاً ، وهو لا يكتب ولا يقرأ من كتاب ، وكانت هذه الخلة احدى آياته المعجزة ، لأنه صلى الله عليه وسلم ، تلا عليهم كتاب الله منظوماً تارة بعد اخرى ، بالنظم الذي انزل عليه ، فلم يغيره ولم يبدل ألفاظه ، ففي ذلك انزل الله تعالى : وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، اذاً لارتاب المبطلون . وقال الحافظ ابن حجر في تخريج احاديث الرافعي ان مما حرم عليه صلى الله عليه وسلم : الخط والشعر ، وانما يتجه التحريم ان قلنا انه كان يحسنها ، والأصح انه كان لا يحسنها ، ولكن يميز بين جيد الشعر ورديئه . وادعى بعضهم انه صار يعلم الكتابة بعد ان كان لا يعلمها لقوله تعالى من قبله في الآية . فإن عدم معرفته بسبب الاعجاز . فلما اشتهر الاسلام وأمن الارتياب عرف حينئذ الكتابة . وقد روي عن ابن ابي شيبة وغيره : ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كتب وقرأ ، وذكره مجالد للشعبي . فقال ليس في الآية ما ينافيه . قال ابن دحية : واليه ذهب ابو ذر الفتح النيسابوري والباجي وصنف فيه كتاباً ، ووافقه عليه بعض علماء افريقية وصقلية . وقالوا : ان معرفة الكتابة بعد اميته لا تنافي المعجزة ، بل هي معجزة اخرى بعد معرفة اميته وتحقق معجزته ، وعليه تتنزل الآية السابقة والحديث فإن معرفته من غير تقدم تعليم معجزة . وصنف ابو محمد بن مفوز كتاباً رد فيه على الباجي وبيّن فيه خطأه ، وقال بعضهم يحتمل ان يراد انه كتب مع عدم علمه بالكتابة وتمييز الحروف ، كما يكتب بعض الملوك علامتهم وهم اميون ، والى هذا ذهب القاضي ابو جعفر السمناني »[1] .

وقد تعرض (الألوسي) لهذا الموضوع في تفسيره الآية : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، اذاً لارتاب المبطلون . بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم ، وما يجحد آياتنا إلا الظالمون »[2] . فقال: « واختلف في انه صلى الله عليه وسلم ، أكان بعد النبوة يقرأ ويكتب ام لا ؟ فقيل انه عليه الصلاة والسلام لم يكن يحسن الكتابة ، واختاره البغوي في التهذيب ، وقال : انه الأصح . وادعى بعضهم انه صلى الله عليه وسلم ، صار يعلم الكتابة بعد ان كان

---

١ تاج العروس (٨/١٩١) ، (أمم) .
٢ العنكبوت ، ٢٩ ، الاية ٤٨ ، تفسير الطبري (٢١/٤) ، تفسير الالوسي (٢١/٤)

لا يعلمها ، وعدم معرفتها بسبب المعجزة لهذه الآية ، فلما نزل القرآن واشتهر الاسلام وظهر امر الارتياب تعرف الكتابة حينئذ . وروى ابن ابي شيبة وغيره: ما مات صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ . ونقل هذا للشعبي فصدقه،وقال : سمعت أقواماً يقولونه وليس في الآية ما ينافيه . وروى ابن ماجه عن أنس قال: قال صلى الله عليه وسلم : رأيت ليلة أُسري بي مكتوباً على الجنة : الصدقة بعشر امثالها ، والقرض بثمانية عشر .

ثم قال : ويشهد للكتابة احاديث في صحيح البخاري وغيره ، كما ورد في صلح الحديبية : فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله ، الحديث .

وممن ذهب الى ذلك ابو ذر عبد بن احمد الهروي ، وابو الفتح النيسابوري ، وابو الوليد الباجي من المغاربة ، وحكاه عن السمناني . وصنف فيه كتاباً ، وسبقه اليه ابن منية. ولما قال ابو الوليد ذلك طعن فيه ورمي بالزندقة وسبّ على المنابر، ثم عقد له مجلس فأقام الحجة على مدّعاه ، وكتب به الى علماء الأطراف، فأجابوا بما يوافقه ، ومعرفة الكتابة بعد اميته صلى الله عليه وسلم ، لا تنافي المعجزة ، بل هي معجزة اخرى لكونها من غير تعليم .

وقد رد بعض الأجلة كتاب الباجي لما في الحديث الصحيح إنا أمة أمية نكتب ولا نحسب . وقال : كل ما ورد في الحديث من قوله : كتب ، فمعناه امر بالكتابة ، كما يقال : كتب السلطان بكذا لفلان . وتقديم قوله تعالى : من قبله على قوله سبحانه : ولا تخطه كالصريح في انه عليه الصلاة والسلام لم يكتب مطلقاً . وكون القيد المتوسط راجعاً لما بعده غير مطّرد . وظن بعض الأجلة رجوعه الى ما قبله وما بعده ، فقال : يفهم من ذلك انه عليه الصلاة والسلام كان قادراً على التلاوة والخط بعد انزال الكتاب ، ولولا هذا الاعتبار ، لكان الكلام خلواً من الفائدة . وأنت تعلم انه لو سُلّم ما ذكره من الرجوع ، لا يتم امر الإفادة إلا اذا قيل بحجية المفهوم ، والظانّ ممن لا يقول بحجيته .

ثم قال الألوسي في تفنيد هذه الردود ما نصه :

ولا يخفى ان قوله عليه الصلاة والسلام : إنا امة امية لا نكتب ولا نحسب ، ليس نصاً في استمرار نفي الكتابة عنه عليه الصلاة والسلام . ولعل ذلك باعتبار

انه بعث عليه الصلاة والسلام ، وهو واكثر من بعث اليهم وهو بين ظهرانيهم من العرب اميون ، لا يكتبون ولا يحسبون ، فلا يضر عدم بقاء وصف الأمية في الأكثر بعد . واما ما ذكر من تأويل كتب بأمر بالمكاتبة ، فخلاف الظاهر . وفي شرح صحيح مسلم للنووي عليه الرحمة نقلاً عن القاضي عياض : ان قوله في الرواية التي ذكرناها : ولا يحسن يكتب فكتب ، كالنص في انه صلى الله عليه وسلم كتب بنفسه ، فالعدول عنه الى غيره مجاز لا ضرورة اليه . ثم قال : وقد طال كلام كل فرقة في هذه المسألة وشنعت كل فرقة على الأخرى في هذا »[1] .

وبحث (القرطبي) في هذا الموضوع ايضاً ، فقال : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، الضمير في قبله عائد الى الكتاب ، وهو القرآن المُنزل على محمد ، صلى الله عليه وسلم ، اي وما كنت يا محمد تقرأ قبله ، ولا تختلف الى اهل الكتاب ، بل أنزلناه اليك في غاية الإعجاز والتضمين للغيوب وغير ذلك ، فلو كنت ممن يقرأ كتاباً ، ويخط حروفاً لارتاب المبطلون اي من اهل الكتاب ، وكان لهم في ارتيابهم متعلق ، وقالوا الذي نجده في كتبنا انه امي لا يكتب ولا يقرأ وليس به . قال مجاهد : كان اهل الكتاب يجدون في كتبهم ان محمداً صلى الله عليه وسلم ، لا يخط ولا يقرأ ، فنزلت هذه الآية ؛ قال النحاس : دليلاً على نبوته لقريش ، لأنه لا يقرأ ولا يكتب ولا يخالط اهل الكتاب ولم يكن بمكة اهل الكتاب فجاءهم بأخبار الأنبياء والأمم ، وزالت الريبة والشك .

الثانية : ذكر النقاش في تفسير الآية عن الشعبي انه قال : ما مات النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى كتب . واسند ايضاً حديث ابي كبشة السلولي ؛ مضمنه : انه صلى الله عليه وسلم ، قرأ صحيفة لعيينة بن حصن ، وأخبر بمعناها. قال ابن عطية : وهذا كله ضعيف ، وقول الباجي رحمه الله منه .

قلت : وقع في صحيح مسلم من حديث البراء في صلح الحديبية ان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال لعليّ : اكتب الشرط بيننا : بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فقال له المشركون : لو نعلم انك رسول الله تابعناك ـ وفي رواية بايعناك ـ ولكن اكتب محمد بن عبدالله ، فأمر علياً

---

١ محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن (ص ٣٥٨ وما بعدها) (الطبعة الثانية) ، (عيسى البابي الحلبي) .

ان يمحوها ، فقال علي : والله لا أمحاه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرني مكانها ، فأراه فمحاها وكتب ابن عبدالله . قال علماؤنا رضي الله عنهم : وظاهر هذا انه عليه السلام محا تلك الكلمة التي هي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بيده ، وكتب مكانها ابن عبدالله . وقد رواه البخاري بأظهر من هذا . فقال : فأخذ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الكتاب فكتب . وزاد في طريق أخرى : ولا يحسن ان يكتب. فقال جماعة ، بجواز هذا الظاهر عليه وانه كتب بيده ، منهم السمناني وأبو ذر والباجي ، ورأوا ان ذلك غير قادح في كونه أمياً ، ولا معارض بقوله : وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، ولا بقوله : إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ، بل رأوه زيادة في معجزاته ، واستظهاراً على صدقه وصحة رسالته ، وذلك انه كتب عن غير تعلم لكتابة ، ولا تعاطٍ لأسبابها ، وانما أجرى الله تعالى على يده وقلمه حركات كانت عنها خطوط مفهومها ابن عبدالله لمن قرأها ، فكان ذلك خارقاً للعادة ، كما انه عليه السلام عَلِم علم الأولين والآخرين من غير تعلم ولا اكتساب ، فكان ذلك أبلغ معجزاته ، وأعظم فضائله . ولا يزول عنه اسم الأمي بذلك ، ولذلك قال الراوي عنه في هذه الحالة : ولا يحسن ان يكتب . فبقي عليه اسم الأمي مع كونه قال : كتب . قال شيخنا أبو العباس احمد بن عمر : وقد أنكر هذا كثير من متفقهة الأندلس وغيرهم ، وشددوا النكير فيه ، ونسبوا قائله الى الكفر ، وذلك دليل على عدم العلوم النظرية ، وعدم التوقف في تكفير المسلمين ، ولم يتفطنوا ، لأن تكفير المسلم كقتله على ما جاء عنه عليه السلام في الصحيح ، لا سيما رميُ من شهد له أهل العصر بالعلم والفضل والإمامة ، على ان المسألة ليست قطعية ، بل مستندها ظواهر أخبار آحاد صحيحة،غير ان العقل لا يحيلها ، وليس في الشريعة قاطع يحيل وقوعها .

قلت : وقال بعض المتأخرين من قال هي آية خارقة ، فيقال له : كانت تكون آية لا تنكر لولا انها مناقضة لآية أخرى وهي كونه أمياً لا يكتب،وبكونه أمياً في أمة أمية قامت الحجة ، وأفحم الجاحدون ، وانحسمت الشبهة ، فكيف يطلق الله تعالى يده فيكتب وتكون آية . وانما الآية ألا يكتب،والمعجزات يستحيل ان يدفع بعضها بعضاً . وانما معنى كتب وأخذ القلم ، أي أمر من يكتب به من كتّابه،وكان من كتبة الوحي بين يديه صلى الله عليه وسلم ، ستة وعشرون كاتباً.

الثالثة ــ ذكر القاضي عياض عن معاوية انه كان يكتب بين يــدي النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ألقِ الدواة وحرّف القلم وأقم الباء وفرّق السين، ولا تعوّر الميم ، وحسّن الله ، ومدّ الرحمن ، وجوّد الرحيم . قال القاضي : وهذا وان لم تصح الرواية انه صلى الله عليه وسلم ، كتب ، فلا يبعد ان يُرزق علم هذا ، ويُمنع القراءة والكتابة .

قلت : هذا هو الصحيح في الباب انه ما كتب ولا حرفاً واحداً ، وانما امر من يكتب وكذلك ما قرأ ولا تهجى . فإن قيل : فقد تهجى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، حين ذكر الدجّال ، فقال : مكتوب بــين عينيه ك ا ف ر ، وقلتم ان المعجزة قائمة في كونه أمياً ، قال الله تعالى : وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، الآية . وقال : إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب . فكيف هذا ؟ فالجواب ما نص صلى الله عليه وسلم ، في حديث حذيفة ، والحديث كالقرآن يفسر بعضه بعضاً . ففي حديث حذيفة : يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب، فقد نص في ذلك على غير الكتاب ممن يكون أمياً . وهذا من أوضح ما يكون جلياً »[1] .

وقد ذهب (الطبرسي) في تفسيره للآية المذكورة الى ان الرسول ساوى قومه في المولد والمنشأ ، لكنه جاء بما عجز عنه الآخرون من كلام الله والنبوة ، فهو أمي مثلهم . ثم عرض رأي (الشريف المرتضى) ، القائل : « هذه الآية تدل على ان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ما كان يحسن الكتابة قبل النبوة، فأما بعد النبوة فالذي نعتقده في ذلك التجويز ، لكونه عالماً بالكتابة والقراءة والتجويز لكونه غير عالم بهما من غير قطع على أحد الأمرين . وظاهر الآية يقتضي ان النفي قد تعلق بما قبل النبوة دون ما بعدها ، ولأن التعليل في الآية يقتضي اختصاص النفي بما قبل النبوة ، لأن المبطلين انما يرتابون في نبوته صلى الله عليه وسلم ، لو كان يحسن الكتابة قبل النبوة . فأما بعد النبوة ، فلا تعلق له بالريبة والتهمة فيجوز ان يكون قد تعلمها من جبرائيل عليه السلام ، بعد النبوة »[2] .

وتعرض (الجاحظ) لهذا الموضوع أيضاً ، فقال نقلاً عن كلام شيخ من

---

١ الجامع لاحكام القرآن (١٣/٣٥١ وما بعدها) .
٢ الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن (الجزء الثامن من ٢٨٩) .

البصريين ، « إن الله انما جعل نبيه أمياً لا يكتب ولا يحسب ولا ينسب ، ولا يقرض الشعر ، ولا يتكلف الخطابة ، ولا يتعمد البلاغة ، لينفرد الله بتعليمه الفقه وأحكام الشريعة،ويقصره على معرفة مصالح الدين دون ما تتباهى به العرب ، من قيافة الأثر والبشر ، ومن العلم بالأنواء وبالخيل ، وبالأنساب وبالأخبار ، وتكلف قول الأشعار ، ليكون اذا جاء بالقرآن الحكيم ، وتكلم بالكلام العجيب، كان ذلك أدل على انه من الله .

وزعم ان الله تعالى لم يمنعه معرفة آدابهم وأخبارهم وأشعارهم ليكون أنقص حظاً من الحاسب الكاتب ، ومن الخطيب الناسب ، ولكن ليجعله نبياً ، وليتولى من تعليمه ما هو أزكى وأنمى . فإنما نقصه ليزيده ، ومنعه ليعطيه ، وحجبه عن القبائل ليجلي له الكثير »[1] .

وقد رد (الجاحظ) على كلامه هذا ، بقوله : « وقد أخطأ هذا الشيخ ولم يُرِد إلا الخير . وقال بمبلغ علمه ومنتهى رأيه . ولو زعم ان أداة الحساب والكتابة ، وأداة قرض الشعر ورواية جميع النسب ، قد كانت فيه تامة وافرة ، ومجتمعة كاملة ، ولكنه صلى الله عليه وسلم صرف تلك القوى وتلك الاستطاعة الى ما هو أزكى بالنبوة ، وأشبه بمرتبة الرسالة ، وكان اذا احتاج الى البلاغة كان أبلغ البلغاء ، واذا احتاج الى الخطابة كان أخطب الخطباء ، وأنسب من كل ناسب ، وأقوف من كل قائف ، ولو كان في ظاهره ، والمعروف من شأنه انه كاتب حاسب ، وشاعر ناسب ، ومتفرس قائف ، ثم أعطاه الله برهانات الرسالة وعلامات النبوة ، ما كان ذلك بمانع من وجوب تصديقه ، ولزوم طاعته ، والانقياد لأمره على سخطهم ورضاهم ، ومكروههم ومحبوبهم . ولكنه اراد ألا يكون للشاغب متعلق عما دعا اليه حتى لا يكون دون المعرفة بحقه حجاب وان رق ، وليكون ذلك أخف في المؤونة ، وأسهل في المحنة . فلذلك صرف نفسه عن الأمور التي كانوا يتكلفونها ويتنافسون فيها ، فلما طال هجرانه لقرض الشعر وروايته ، صار لسانه لا ينطلق به ، والعادة توأم الطبيعة . فأما في غير ذلك فإنه اذا شاء كان أنطق من كل منطيق ، وأنسب من كل ناسب ، وأقوف من كل قائف . وكانت آلته أوفر وأداته أكمل،إلا انها كانت مصروفة الى ما هو أردّ.

---

١ البيان والتبيين (٣٢/٤) .

وبين ان نضيف اليه العجز ، وبين ان نضيف اليه العادة الحسنة وامتناع الشيء عليه من طول الهجران له ، فرقٌ .

ومن العجب ان صاحب هذه المقالة لم يره عليه السلام في حال معجزة قط ، بل لم يره إلا وهو ان أطال الكلام قصر عنه كل مُطيل ، وان قصر القول اتى على غاية كل خطيب ، وما عدم منه إلا الخط واقامة الشعر ، فكيف ذهب ذلك المذهب ، والظاهر من امره عليه السلام خلاف ما توهم !؟ »[1] .

فهذا هو رأي الجاحظ في امية الرسول .

واما حديث : « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » ، فيعارضه حديث آخر ينسب الى الرسول هو : « قريش اهل الله ، وهم الكتبة الحسبة »[2] . « وبقال قريش اهل الله ، لأنهم كتبة حسبة »[3] . والقرآن الكريم نفسه ، يفند ان قريشاً لم يكونوا يحسنون الكتاب او الحساب ، لما فيه من آيات تناقض هذا الرأي . وفي الحديث ، أحاديث كثيرة يجب عدم الأخذ بها ، لأنها ضعيفة ، ويشبه ان يكون الحديث المذكور واحد منها . ومن هذه الأحاديث الضعيفة ، حديث : « حق الوالد على ولده ان يعلمه الكتابة والسباحة ، والرماية ، وان لا يرزقه إلا طيباً » ، وحديث : « حق الوالد على ولده ان يحسّن اسمه ، ويزوّجه اذا أدرك ، ويعلمه الكتاب »[4] . والحديث المذكور من الأحاديث التي يرجع سندها الى (ابي هريرة) وفي الأحاديث المنسوبة اليه احاديث كثيرة يجب عدم الأخذ بها .

ولو أخذنا بالحديث على علاته ، وقبلناه دون نقد، كما يفعل كثير من الناس، وجب علينا القول ان الرسول كان يقرأ ويكتب . ورد : « وذكر صاحبُ الشرعة ايضاً ، انه صلى الله عليه وسلم ، قال لمعاوية رضي الله عنه ، وهو يكتب بين يديه : ألقِ الدواة ، وحرّف القلم ، وانصب الباء ، وفرّق السين ، ولا تعوّر المسيم ، وحسّن الله ، ومد الرحمن ، وجوّد الرحيم »[5] ، وانه قال (لزيد بن ثابت) وهو احد كتّابه : « اذا كتبتَ بسم الله الرحمن الرحيم فبيّن

---

١ البيان والتبيين (٣٣/٤ وما بعدها) .
٢ الصولي ، أدب الكتاب (٢٨) .
٣ حكمة الاشراق (٦٧) .
٤ الجامع الصغير ، رقم ٣٧٤٢ ، و ٣٧٤٣ ، حكمة الاشراف (٦٦ وما بعدها) .
٥ حكمة الاشراق (٦٧) .

السين فيه »[1] ، فهل يعقل صدور هذا الوصف ، وهذه التسمية للحروف، وهذه المصطلحات من رجل أمي ، لا يقرأ ولا يكتب . وقد روى الرواة هذين الحديثين مع تعارضهما لأقوال العلماء ، ورووا ايضاً ان (ابا ذر) الغفاري سأل الرسول : « يا رسول الله ، كل نبي مرسل بمَ يُرسل ؟ قال : بكتاب منزّل . قلت : يا رسول الله ، اي كتاب أنزل على آدم ؟ قال : ا ب ت ث ج الى آخره . قلت : يا رسول الله ، كم حرف ؟ قال : تسع وعشرون . قلت : يا رسول الله ، عددت ثمانية وعشرين ، فغضب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى احمرت عيناه ، ثم قال : يا ابا ذر ، والذي بعثني بالحق نبيـاً ! ما أنزل الله تعالى على آدم إلا تسعة وعشرين حرفاً . قلت : يا رسول الله ، فيها ألف ولام. فقال عليه السلام : لام ألف حرف واحد ، أنزله على آدم في صحيفة واحدة ، ومعه سبعون ألف ملك . من خالف لام ألف ، فقد كفر بما أنزل على آدم ! ومن لم يعدّ لام ألف فهو بريء مني وأنا بريء منه ! ومن لا يؤمن بالحروف، وهي تسعة وعشرون حرفاً لا يخرج من النار ابداً »[2] . وبعد فهل نقبل بحديث من هذا النوع ، وكل ما فيه يطعن في صحته !

ويظهر صراحة من الآية : « هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين »[3] ، ان مرادها من الأميين ، ليس الجهل بالكتابة والقراءة ، وانما العرب الذين لم يكن عندهم كتاب منزل من السماء . ودليل ذلك ما اورده (الطبري) في تفسيرها من اقوال وروايات . فقد قال : « والأميون هم العرب » ، قال (قتادة) : « هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم . قال : كان هذا الحي من العرب امة أمية ليس فيها كتاب يقرأونه ، فبعث الله نبيه محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، رحمة وهدى يهديهم بـه » ، وقال : « كانت هذه الأمة أميـة لا يقرأون كتاباً » ، وقال : « انما سميت امة محمد صلى الله عليه وسلم الأميين لأنه لم ينزل عليهم كتاباً » ، وقوله : « ويعلمهم الكتـاب . يقول ويعلمهم

---

١ الجامع الصغير (٨٣٥) ، حكمة الاشراق (٦٧) .

٢ صبح الاعشى (٣/٧) .

٣ الجمعة ، الاية ٢ .

كتاب الله وما فيه من امر الله ونهيه وشرائع دينه،والحكمة يعني بالحكمة السنن ».
وقال : « ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ايضاً ، كما علم هؤلاء . يزكيهم بالكتاب والأعمال الصالحة ويعلمهم الكتاب والحكمة كما صنع بالأولين » ، وقال في تفسير « وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين . يقول تعالى ذكره ، وقد كان هؤلاء الأميون من قبل ان يبعث الله فيهم رسولاً منهم في جور عن قصد السبيل وأخذ على غير هدى مبين . يقول يبين لمن تأمله انه ضلال وجور عن الحق وطريق الرشد »[1] . وقال (ابن كثير) في تفسيرها : « وذلك ان العرب كانوا قديماً متمسكين بدين ابراهيم الخليل عليه السلام فبدلوه وغيروه وقلبوه وخالفوه ، واستبدلوا بالتوحيد شركاً وباليقين شكاً ... فبعث الله محمداً صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم كامل لجميع الخلق ، فيه هدايته والبيان لجميع ما يحتاجون اليه من امر معاشهم ومعادهم »[2] . وقال (القرطبي) : قال ابن عباس : الأميون العرب كلهم ، من كتب منهم ومن لم يكتب ، لأنهم لم يكونوا اهل كتاب»[3]. فالأميون اذن هم العرب ، لأنهم كانوا اهل شرك ، وليس لهم كتاب ، وليس للفظة صلة بالأمية التي تعني الجهل بالقراءة والكتابة .

واما حديث : « إنا امة أمية لا نكتب ولا نحسب . الشهر هكذا وهكذا : مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين »[4] . وقد نسب سنده الى (ابن عمر)،فحكمه حكم الحديث السابق ، وقد فسر الحساب ، بأنه حساب النجوم وتسييرها،لا الجهل بالحساب .

وقد ذهب (شبرنكر) الى ان الرسول كان يقرأ ويكتب ، وانه قرأ (اساطير الأولين)[5] ، و (شبرنكر) من المستشرقين العاطفيين . الذين يأخذون بالخبر ، مهما كان شأنه فيبني حكماً عليه .

وقد ذهب بعض المستشرقين الى ان المقصود من الأميين هنا الوثنيون . وان الأمية هذه اخذت من اليهود الذين كانوا يطلقون لفظة (امت) و (اميم)

---

١ تفسير الطبري (٢٨/٦١ وما بعدها) .
٢ تفسير ابن كثير (٤/٣٦٣) .
٣ الجامع لاحكام القرآن (١٨/٩١) .
٤ ارشاد الساري (٣/٣٥٩) .
٥ Nöldeke, I, S. 16, Ency. of Islam, Vol. IV, p. 1016.

على غيرهم ، يريدون بهـا الوثنيين . كما في جملـة : (امت ها عالولام) Ummot ha Olam [1] . وقـد أطلـق اليهود على الغرباء وعلى كل من هو غير يهودي ، (كوي) Goy للواحد ، و (كويم) Goyim للجمع . وتقابـل هذه اللفظة لفظة Gentile في اللاتينية . ويقال للغريب عنهم (اخريم) Ahrim و Nochrim ، كذلك، تمييزاً لهم عن العبرانيين الذين يذهبون الى انهم أمة مقدسة مفضلة على العالمين[2] .

وذهب بعض المستشرقين اليهود الى ان لفظة (الأميين) معربة من اصل (كوى) و (كويم) المذكور[3] .

والذي أراه ان لفظة (أمي) و (أمية) لم تكن تعني عند الجاهليين معنى عدم القراءة والكتابة والجهل بهما ، وانما كانت تعني عندهم : مشركين ووثنيين، وهو المعنى الذي ورد في القرآن الكريم . والذي نعت الرسول فيه بالأمي ، لأنه من العرب ، ومن قوم ليس لهم كتاب ، عرفوا بذلك من قبل اهـل الكتاب اليهود . أما تفسيرها بالجهل بالكتابة والقراءة ، فقد وقع في الاسلام ، أخذوه من ظاهر معنى لفظـة (الكتاب) الواردة في القرآن ، فظنوا انها تعني (الكتابة) بينما المراد منها الكتاب المُنزل ، لعدم انسجام تفسيرها بالكتابة مع معنى الآية ، ودليل ذلك انهم لما فسروا (الأمية) بمعنى عدم القراءة والكتابة حاروا في ايجاد مخرج لهذا التفسير ، فقالوا ما قالوه في تفسيرها من انها سميت بالأمية لأنها على خلقة الأمة ، او لأنها على الجبلة والفطرة ، وأصل ولادة الأمهات وما شاكـل ذلك من تفاسير مضطربة باردة ، تخبر ان علماء اللغة لم يجدوا لها أصلاً ووجوداً عند الجاهليين فلجأوا الى هذه التعليلات[4] . ولو كانت الأمية معروفة عند اهـل الجاهلية بهذا المعنى لاستشهدوا عليها بشعر من أشعار الجاهليين أو المخضرمين ، ولما لجأوا الى هذه التفاسير المتكلفة ، لأن من عادتهم الاستشهاد بالشعر في تفسير

---

١ Shorter Ency. p. 764, Horovitz, Koranische Utersuchungen, 1926, S. 51, Buhl - Shaeder, Das Leben Muhammeds, Leipzig, 1930, S. 56, Nöldeke, Geschichte des Qorans, I, S. 14.

٢ The Universe. Jewish Ency. Vol. 4, p. 533.

٣ Torrey, The Jewish foundation of Islam, New York, 1933, p. 38, Abram I. Katsh, Judaism in Islam, New York, 1934, p. 75.

٤ تاج العروس (١٩١/٨) ، (أمم) .

الألفاظ ، ولا سيما الألفاظ الغريبة ، فعدم استشهادهم بشاهد من شعر او نثر في تفسير الأمية هو دليل عـلى ان اللفظة بهذا التفسير من الألفـاظ التي ولدت في الاسلام ، وانها لم تكن عربية خالصة ، وانما سمعوها من اهل الكتاب .

وعندي ان يهود يثرب هم الذين أطلقوا لفظة (الأميين) على العرب المشركين، على عادتهم حتى هذا اليوم في نعت الغرباء عنهم بألفاظ خاصة مثل (كويم)، لتمييزهم عن أنفسهم ، باعتبارهم (شعب الله المختار) المؤمن بإلـه اسرائيل .

ومما يؤيد هذا الرأي ، اننا نطلق في عربيتنا لفظة (الأمي) على من لا يعرف القراءة والكتابة معاً ، بينما نطلق على الشخص الذي يحسن القراءة ولا يحسن الكتابة قارىء ، او قارئة،وذلك لوجود جماعة كانوا يحسنون القراءة،ولكنهم لا يكتبون . ونجد اليوم من النساء من يحسنّ القراءة ولا يكتبن، ولما نزل الوحي على الرسول: باقرأ ، قال الرسول : ما أنا بقارىء ، او لست بقارىء[1] ، ولم يقل : أنا أمي، مما يدل على ان الأمية انما صارت تعبر عن معنى عدم القراءة والكتابة فيما بعد . ثم اننا لا نجد في اللغات القديمة لفظة واحدة في معنى (الأمية) التي نستعملها في عربيتنا في الوقت الحاضر ، اي في معنى الجهل بالقراءة والكتابة معاً ، وانما يقال لا يقرأ او لا يكتب ، او يجهل القراءة والكتابة ، فلا يعقل خروج العربية على هذه القاعدة . واستعمالها الأمية قبل الاسلام مصطلحاً للتعبير عن الجهل بالكتابـة والقراءة معاً . ولم أعثر في النصوص الجاهلية على هذه اللفظة او على لفظة اخرى تؤدي هذا المعنى .

ولا يعقل ان يكون اليهود او غيرهم قد أطلقوا الأمية على العرب ، بسبب جهل العرب الكتابة والقراءة . فقد كان سواد يهود ونصارى جزيرة العرب أمياً ايضاً ، لا يقرأ ولا يكتب،إلا ان القرآن الكريم أخرجهم من الأميين،واستثناهم، وأطلق عليهم (اهل الكتاب) ، وذلك يدل دلالة واضحة على ان المـراد من (الأميين) العرب الذين لهم كتاب ، اي العرب الذين لم يكونوا يهوداً ولا نصارى لا من لا يحسن الكتابة والقراءة.والقرآن الكريم هو الذي هدانا الى لفظة (الأميين) فلم ترد اللفظة في نص من نصوص الجاهلية وبفضله ايضاً عرفنا مصطلح (أهل الكتاب) دلالة على اهل الديانتين .

---

١ إمتاع الاسماع (١٣/١) ، (ثم قال اقـرأ : قلت ما اقـرأ) ، تفسير الطبري (١٦١/٣٠) ، تفسير النيسابوري (١٢٥/٣٠) ، (حاشية على تفسير الطبري) .

وأنا لا أريد ان أثبت هنا ان العرب قاطبة كانت أمة قارئة كاتبة ، جاءها يقرأ ويكتب ، وانها كانت ذات مدارس منتشرة في كل مكان من جزيرتهم ، تعلم الناس القراءة والكتابة والعلوم الشائعة في ذلك الزمن ، فقول مثل هـذا هو هراء ، ما في ذلك شك ، ولا يمكن أن يدعيه أحد ثم ان شيوع القراءة والكتابة بالمعنى المفهوم عندنا ، لم يكن معروفاً حتى عند أرقى الشعوب إذ ذاك مثل اليونان والرومان والساسانيين في عالم ذلك العهد . فسواد كل الأمم كان جاهلاً لا يحسن قراءة ولا كتابة ، وانما كانت القراءة والكتابة في الخاصة وفي أصحاب المواهب والقابليات الذين تدفعهم مواهبهم ونفوسهم على التعلم والتثقف وتزعّم الحركة الفكرية بين أبناء جنسهم . ومن هنا كانت كل الأمم أمية من حيث الأكثرية والغالبية ، انما اختلفت في نسبة المتعلمين والمتخصصين والمجتهدين ودرجتهم فيها . وفي هذا تتباين وتختلف أيضاً ، فقد كان اليونان والرومان والعالم النصراني في الدرجة الأولى في العهد الذي قارب الاسلام ، يليهم الفرس واليهود والهنود . أما العرب ، فقد كانوا يتباينون في ذلك أيضاً تبايناً يختلف باختلاف أماكنهم كما سأبين ذلك .

فأهل البوادي ، ولا سيما البوادي النائية عن الحواضر ، هم أميون ما في ذلك من شك،لأن طبيعة البادية في ظروفها المعلومة لا تساعد على تعلم القراءة والكتابة ، ولا على ظهور العلوم وتطويرها فيها ، غير اننا لا نعني انهم كانوا جميعاً أميين، لا قارىء بينهم ولا كاتب . فقد كان بينهم من يقرأ ويكتب ، بدليل هـذه النصوص الجاهلية التي عثر عليها مبعثرة في مواضع متناثرة من البوادي ، وفي أماكن نائية عن الحضارة . وهي كتابات أعراب ورعاة إبل وبقر وأغنام،دوّنوها تسجيلاً لخاطر ، أو للذكرى ، أو رسالة لمن قد يأتي بينهم،فيقف على أمرهم ، ومن هنا نستطيع أن نقول ان أعراب الجاهلية ، كانوا أحسن حالاً من أعراب هذا اليوم ، فقد كان فيهم الكاتب القارىء ، الذي يهتم بتسجيل خواطره ، وباثبات وجوده بتدوينه هذه الكتابات ، وأن الأمية المذكورة لم تكن أمية عامة جامعة ، بل أمية نسبية ، على نحو ما نشاهده اليوم في مجتمعاتنا من غلبة نسبة الأمية على نسبة المتعلمين .

وأما أهل الحواضر ، فقد كان بينهم من يقرأ ويكتب ، كما كان بينهم الأمي أي الجاهل بالقراءة والكتابة . كان منهم من يقرأ ويكتب بالقلم المسند ، وكان

بينهم من يقرأ ويكتب بالقلم الذي دوّن به القرآن الكريم ، فصار القلم الرسمي للاسلام ، بفضل تدوين الوحي به ، كما كان بينهم من يكتب بقلم النبط وبقلم بني إرم . وكان بينهم من يكتب ويقرأ بقلمين أو أكثر .

وقد سبق ان ذكرنا ان الأحناف كانوا يكتبون ويقرأون ، ورأينا بعضاً منهم كانَ يكتب بأقلام أعجمية ، وكان قد وقف على كتب أهل الكتاب ، وكانوا أصحاب رأي ومقالة في الدين وفي أحوال قومهم . وذكرت انهم قالوا عن بعضهم ، مثل (ورقة بن نوفل) ، انه كان « يكتب الكتاب العبراني، فيكتب بالعبرانية من الانجيل ما شاء أن يكتب »[1] .

وقد ذكر (الهمداني) ان العرب كانت «تسمي كل من قرأ الكتب أو كتب: صابئاً ، وكانت قريش تسمي النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أيام كان يدعو الناس بمكة ويتلو القرآن: صابئاً »[2] . فالصباة على تفسير (الهمداني) ، هم الكتبة وكل من قرأ الكتب ، وعلى ذلك يكون الحنفاء في جملة الصباة .

وقد ذكر أهل الأخبار انه كان لدى (الأكاسرة) ديوان خاص يدون فيه كل ما يخص عرب الحيرة وسائر العرب بالعربي ، ويتولى أيضاً ترجمة كل ما يرد الى الدولة بالعربية الى الفارسية ، ويترجم ما يصدر بالفارسية من الحكومة الى العرب بالعربية ، وان في جملة من اشتغل في هذا الديوان وقام بالترجمة فيه (زيداً العبادي) ، أبا الشاعر الشهير (عدي بن زيد العبادي) ، وزعم (ابن الكلبي) ان ملوك الحيرة كانوا يملكون دواوين فيها أخبارهم ومقدار مدد حكمهم وما قيل في مدحهم من شعر ، وفي خبر صحيفة المتلمس وقراءة أحد غلمان الحيرة للصحيفة التي كان يحملها ما يشير الى معرفة غلمان أهل الحيرة القراءة والكتابة [3] . وفي كل هذه الروايات والأخبار تفنيد لزعم من ذهب الى ان العرب قبل الاسلام كانوا جميعاً في جهالة وأمية .

---

١ الاغاني (٣/١٢٠) .
٢ الاكليل (١/٤٤) .
٣ الفهرست (ص ١٢ وما بعدها) ، بلوغ الارب (٣/٣٦٨ وما بعدها) .
(فأعطى المتلمس كتابه بعض الغلمان فقرأه) ، (فاذا أنا بغلام من أهل الحيرة يسقي غنيمة له من نهر الحيرة ، فقلت : يا غلام . اتقرأ ؟ قال : نعم . قلت : اقرأ) مجمع الامثال (١/٤١٢ وما بعدها) ، بلوغ الارب (٣/٣٧٤) ، النصرانية وآدابها (١/١٥٧) .

بل ورد في روايات أهل الأخبار في ترجمة عدي بن زيد العبادي المذكور : ان كان في الحيرة معلمون ، يعلمون الأطفال القراءة والكتابة ، يذهبون الى بيوت الأطفال يعلمونهم ان شاء أهلهم ، أو يعلمونهم في الكتاتيب . وقد ورد أيضاً : ان من الكتاتيب ما كانت تعلم بالعربية ومنها ما كانت تعلم بالفارسية . فكان جدّ عدي بن زيد العبادي مثلاً ممن تعلم في دار أبيه ، وخرج من أكتب الناس في يومه « وطلب حتى صار كاتب ملك النعمان الأكبر . وكان أبوه زيد ممن حذق الكتابة والعربية ، ثم علم الفارسية . ولما تحرك عدي ، وأيفع ، طرحه أبوه في الكتاب ، حتى اذا حذق أرسله المرزبان مع ابنه شاهان مرد الى كتاب الفارسية، فكان يختلف مع ابنه ، ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية ، حتى خرج من أفهم الناس بها ، وأفصحهم بالعربية ، وقال الشعر وتعلم الرمي بالنشاب ، فخرج مع الأساورة الرماة ، وتعلم لعب العجم على الخيل بالصوالجة وغيرها »[1] .

وذكر أهل الأخبار ان (لقيط بن يعمر الإيادي) الشاعر كتب صحيفة الى قومه إياد ، يحذرهم من كسرى[2] . وكان كاتباً ومترجماً في قصر كسرى، يكتب من الفارسية الى العربية ومن العربية الى الفارسية[3] ، فلما أراد كسرى الانتقام من قومه ، كتب اليهم قصيدة في صحيفة ، فيها :

سلام في الصحيفة من لقيط الى من بالجزيرة من إياد

وذكر ان (سعد بن ملك) أرسل ابنه (المرقش) الشاعر المعروف وأخاه الى رجل من أهل الحيرة ، فعلمهما الكتابة ، فكانا يكتبان أشعارهما[4] ، وذكر انه كان يكتب بالحميرية ، وانه كتب أبياتاً بها على خشب رحل « الغفيلي الذي تركه وحده لما مرض ، فلما قرأوا الكتابة ضربوا (الغفيلي) حتى أقر[5] .

وكان جفينة العبادي ، وهو من نصارى الحيرة ، وظئراً لسعد بن أبي وقاص،

---

١ الاغاني (٢/١٨ وما بعدها ، ١٠١) .
٢ الاغاني (٢٠/٢٣ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (٩٧ وما بعدها) ، بروكلمن ، تأريخ آداب اللغة العربية (١/١١٢) ، (المترجم) ، (٢/١٠١ وما بعدها) .
٣ البكري ، معجم (١/٥٢) .
٤ المفضليات (٤٥٩ وما بعدها) ، الاغاني (٦/١٣٠) .
٥ الشعر والشعراء (١/١٣٩) .

كاتباً ، قدم المدينة في عهد عمر ، وصار يعلم الكتابة فيها . وقد اتهمه (عبيد الله بن عمر) بمشايعة أبي لؤلؤة على قتل أبيه ، فقتله وقتل ابنيه[1] .

ولما نزل (خالد بن الوليد) الأنبار ، رآهم يكتبون بالعربية ويتعلمونها ، فسألهم : ما أنتم ؟ فقالوا : قوم من العرب ، نزلنا الى قوم من العرب قبلنا — فكانت أوائلهم نزلوها أيام بختنصر حين أباح العرب ، ثم لم تزل عنها — فقال : ممن تعلمتم الكتاب ؟ فقالوا : تعلمنا الخط من إياد ، وأنشدوه قول الشاعر :

قومي إياد لو انهم أمم أو لو أقاموا فتهزل النعم
قوم لهم باحةُ العراق إذا ساروا جميعاً والخط والقلم[2]

ووجد (خالد بن الوليد) أهل (النقيرة) يعلّمون أولادهم الكتاب في كنيستها . وهي قرية من قرى (عين التمر) . ومنها كان (حمران) مولى (عثمان بن عفان)[3] . ولما فتح (خالد) حصن عين التمر ، وغنم ما فيه ، « وجد في بيعتهم أربعين غلاماً يتعلمون الانجيل ، عليهم باب مغلق ، فكسره عنهم »[4] ، ثم أخرجهم ، فقسّمهم في أهل البلاء ، فكان منهم نصير ، أبو موسى ابن نصير ، وسيرين أبو محمد بن سيرين ، وحمران مولى عثمان وغيرهم .

فنحن في العراق أمام مدارس تعلم العربية في القرى وفي الأماكن التي تكون غالبية سكانها من العرب ، وتعلمهم أمور دينهم من نظر في الأناجيل وفي الكتب الدينية النصرانية والعلوم اللسانية المعروفة الى غير ذلك من علوم ومعرفة وثقافة .

وورد في روايات أهل الأخبار ان عدداً من الشعراء الجاهليين كانوا يكتبون ويقرأون . وكان منهم من اذا نظم شعراً دوّنه ثم ظل يعمل في اصلاحه وتنقيحه وتحكيك ما نظمه الى أن يرضى عنه . فينشده الناس . وممن كان يكتب ويقرأ

---

١ الطبري (٤٢/٥) ، ابن سعد ، طبقات (١/٣ ص ٢٥٨) ، (ليدن) ، البلاذري ، فتوح البلدان (٤٦٠) .
٢ الطبري ، (٣٧٥/٣) .
٣ البلدان (٨٠٧/٤ وما بعدها) .
٤ الطبري (٣٧٧/٣) ، (خبر عين التمر) .

سويد بن الصامت الأوسي ، صاحب مجلة لقمان ، والزبرقان بن بدر[1] ، وكعب ابن زهير[2] ، وكعب بن مالك الأنصاري[3] ، والربيع بن زياد العبسي ، وكان هو واخوته من الكملة . وقد كتب الى (النعمان بن المنذر) شعراً يعتذر اليه فيه[4].

وذكر ان أهل (دومة الجندل) كانوا يكتبون ويقرأون ، وان أهل مكة انما تعلموا الكتابة من أحدهم . وورد ان قوماً من (طيء) تعلموا الكتابة والقراءة من كاتب الوحي لهود . وذكر ان (بشر بن عبد الملك) السكوني ، أخو (أكيدر بن عبد الملك بن عبد الجن) السكوني الكندي صاحب دومة الجندل ، وكان نصرانياً ، يأتي الحيرة فيقيم بها الحين ، تعلم الخط العربي من أهل الحيرة ، ثم أتى مكة في بعض شأنه ، فرآه (سفيان بن أمية بن عبد شمس) و (أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب) يكتب فسألاه أن يعلمها الخط ، فعلمها الهجاء ، ثم أراهما الخط ، فكتبا . ثم ان بشراً وسفيان وأبا قيس أتوا الطائف في تجارة فصحبهم (غيلان بن سلمة الثقفي) ، فتعلم الخط منهم ، وفارقهم بشر ومضى الى ديار مضر ، فتعلم الخط منه (عمرو بن زرارة بن عدس) فسمي عمرو الكاتب . ثم أتى بشر الشأم ، فتعلم الخط منه ناس هناك[5] .

وتعلم الخط من الثلاثة الطائيين : (مرامر بن مرة) ، و (أسلم بن سدرة) ، و (عامر بن جدره) ، الذين وضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية ، فتعلمه منهم أهل الأنبار — رجل من طابخة كلب ، فعلمه رجلاً من أهل وادي القرى ، فأتى الوادي يتردد ، فأقام بها،وعلم الخط قوماً من أهلها[6].

وقد وصف الشاعر (أبو ذؤيب) الهذلي كاتباً من اليمن وهو يكتب كتاباً، ولم يكن خط هذا الكاتب بالقلم العربي ، قلم أهل مكة ، وانما كان بقلم أهل اليمن وهو المسند . وذلك كما يظهر من تعابير هذا الشاعر الواردة في شعره ، إذ يقول :

---

١ الاغاني (٢/١٨٠) .
٢ الشعر والشعراء (١/٩١) .
٣ ابن هشام (٢/٨٧ وما بعدها) .
٤ الاغاني (١٦/٢٢ وما بعدها) ، المرتضى ، أمالي (١/١٣٦) .
٥ فتوح البلدان (٤٥٦) ، (أمر الخط) .
٦ فتوح البلدان (٤٥٧) ، (أمر الخط) .

عرفتُ الديار كرَقْم الدوا ة يزبره الكاتب الحميريّ
برقم ووشي كما زخرفت يميشمها المُزدَهاة الهدي
أدانَ وأنبأه الأولو ن أن المدان المليُّ الوفيّ
فنمنم في صحف كالريا طِ فيهن إرث كتاب محيّ[1]

وهي قصيدة عدتها أربعة عشر بيتاً ، ذكر في أولها دروس الديار وطموسها الى أن رثى ابن عمه (نشيبة) بخمسة أبيات من آخرها[2] .

ويظهر من هذه الأبيات ان ذلك الكاتب الحميري كان يكتب بالحبر الموجود في دواة على شيء يصلح للكتابة عليه كأديم أو قرطاس ، ولم يكن يستعمل المزبر المعمول من حديد لنقش الحروف على الحجر . وهذا مما يدل على ان أهل العربية الجنوبية كانوا يكتبون على مواد الكتابة الأخرى بالحبر والقلم ، فعل أهل مكة وأهل الحيرة ودومة الجندل .

وذكر أهل الأخبار أيضاً ، ان رجلين من (بني نهد بن زيد) يقال لهما (حزن) و (سهل) كانا يكتبان ويقرأان . وكانا قد زارا (الحارث بن مارية) الغساني ، وكان عندهما حديث من أحاديث العرب ، ولهما ظرافة وأدب وصحبة ، فنزلا منزلاً طيباً من قلب الحارث ، فحسدهما (زهير بن جناب الكلبي) وكان من ندماء الملك ، فأراد افساد مكانهما عنده ، فقال له : « هما يكتبان اليه بعورتك وخلل ما يريان منك »[3] . يريد اخباره انهما كانا يتجسسان عليه فيكتبان بأخباره الى خصمه (المنذر) الأكبر ، ملك الحيرة ، جدّ النعمان بن المنذر .

وأما عرب بلاد الشأم ، فلم يذكر أهل الأخبار شيئاً عن علمهم بالكتابة والقراءة ، ولكن ذلك لا يمكن أن يكون دليلاً على جهلهم بها . ولا سيما انهم كانوا على اتصال ببني إرم في بلاد الشأم وبعرب بلاد العراق ، ثم انه يجوز انهم كانوا يكتبون بقلم بني إرم ، على عادة معظم شعوب الشرق الأدنى إذ ذاك ،

---

١ ديوان الهذليين (١/٦٤) .
٢ الخزانة (٣/٢٩١) ، (بولاق) .
٣ الاغاني (٥/١١٨) ، (دار الكتب) .

في الكتابة به ، لأنه كان قلم العلم والثقافة والأدب في ذلك الحين . ثم اننا سمعنا ان ملوكهم المتنصرين كانوا يرأسون مجالس المناظرات في أمور الدين ، ويبحثون مع رجال الدين في موضوعات دينيـــة ، ويدافعون عن مذهب اليعاقبة في طبيعة المسيح ، ومثل هؤلاء الملوك لا يعقل أن يكونوا جهلة أميـــين لا يقرأون ولا يكتبون .

وقد سبق أن تحدثت عن الكتابات الصفوية وعن كتابات عربية شمالية أخرى، عثر عليها السياح والمستشرقون في مواضع متعددة من (الصفاة) وفي البوادي ، كتبت على صخور وهشيم صخور منثور ، دلّ البحث فيها على انهـــا كتابات أعراب ، كان أصحابها يتنقلون من مكان الى مكان طلباً للمرعى والصيد .

وتدل تلك الكتابات الصفوية على ان أعراب الجاهلية كانوا في أيام الجاهليـــة أحسن حالاً من حيث علمهم بالكتابة والقراءة من أعراب هذا اليوم . فالكتابات الصفوية الكثيرة المبعثرة في البوادي ، هـــي كتابات أعراب ، متجولين ، كانوا يرعون الإبل وبقية الماشية،فكانوا يسلّون أنفسهم بالكتابة والتصوير على الحجارة ، بينما لا نكاد نجد بين أعراب هذا اليوم من يكاد يقرأ ويكتب .

كما تحدثت عن كتابات ثمودية ، وثمود قوم من لبّ العـــرب ومادة العرب البائدة الأولى في عرف النسابين ، وتحدثت أيضاً عن القلم المسند بلهجاته ولغاته ، فهل يصدق بعد هذا قول من زعم ان العرب قبل الاسلام كانوا في جهالة عمياء، لا يقرأون ولا يكتبون .

ولا يعقل أن يكون المذكورون أميين كتبوا للتسلية والتلهية ، وان الأوامـــر والقوانين التي دوّنها ملوك اليمن قبل الاسلام وأعلنوها للناس بوضعها في المحلات العامة وفي الأماكن البارزة كانت مجرد تدوين أو تزويـــق وتزيين ، لا للاعلان ولإفهام المواطنين بمحتوياتها . إن تدوين تلك الكتابات ووضع الحجارة الفخمـــة المكتوبة للإعلان ، دليل على ان في الناس قوماً يقرأون ويكتبون ويفهمون ، وان الحكومات انما أمرت بتدوينهـــا لإعلام الناس بمحتوياتها للعمل بها ، كما تفعـــل الحكومات في الوقت الحاضر عند إصدارها أمراً أو قانوناً بإذاعته بالوسائل المعروفة على الناس للوقوف عليها ، وان من بين الحجارة الصفوية واللحيانية والثموديـــة المكتوبة ، ما هو رسائل وكتب وجهت الى أشخاص معروفين ، كما نفعل اليوم في توجيه الرسائل الى الأقرباء والأصدقاء .

ووجد عند ظهور الاسلام قوم كانوا يكتبون ويقرأون ويطالعون الكتب بمكة ولهم إلمام بكتب أعجمية ، ومن هؤلاء (الأحناف) وقد ذكر عن بعض أنهم كانوا يجيدون بعض اللغات الأعجمية ، وانهم وقفوا على كتب اليهود والنصارى وعلى كتب أخرى . وفي معركة (بدر) اشترط الرسول على من أراد فداء نفسه ولم يكن موسراً من أهل مكة ، أن يعلم عشرة نفر من المسلمين القراءة والكتابة، كما كان من عادة أهل مكة تدوين ما يجمعون عليه وما يلزمون أنفسهم بـه في صحف يختمونها بخواتمهم وبأسمائهم لتكون شواهد على عزمهم كالـذي فعلوه في الصحيفة . وذكر ان أمية بن أبي الصلت كان فيمن قرأ الكتب ووقف عليها [1]، وذكروا غيره أيضاً .

وذكر أهل الأخبار ان قوماً من أهل يثرب من الأوس والخـزرج ، كانوا يكتبون ويقرأون عند ظهور الاسلام ، ذكروا فيهم : سعد بن زرارة ، والمنذر ابن عمرو ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وكان يكتب بالكتابين العربية والعبرية أو السريانية ، ورافع بن مالك وأسيد بن حُضير ، ومعنى (معن) بن عدي البلوي ، وأبو عبس بن كثير ، وأوس بن خولى ، وبشير بن سعيـد ، وسعد بن عُبادة ، والربيع بن زياد العبسي ، وعبد الرحمن بن جبر ، وعبدالله ابن أبي ، وسعد بن الربيع ، وقد رجعوا أصل علمهم بالكتابة والقراءة الى قوم من يهود يثرب ، مارسوا تعليم الصبيان القراءة والكتابة ؛ دعوهم (بني ماسكة)[2]. ويظهر ، إن صحت هذه الرواية ، ان يهود يثرب كانوا يكتبون بالعربية أيضاً ، وانهم كانوا يعلمونها للعرب . وتعرض البلاذري لهـذا الموضوع فقـال : « كان الكتاب في الأوس والخزرج قليلاً ، وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية ، وكان تعلمه الصبيان بالمدينة في الزمن الأول ، فجاء الاسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون »[3]. ونجد هذا الخبر في موارد أخرى ، أخذته دون أن تشير الى السند ، فظهر وكأنه حقيقة مسلمة وخبر متواتر ، حتى جـاز على المحدثين ، فبنوا عليه حكماً ، هو أن الكتاب كان في يثرب قليلاً ، حتى جاء الاسلام ،

---

١ المعارف ، لابن قتيبة (ص ٢٨) .

٢ صبح الاعشى (٣/١٥) .

٣ البلاذري ، فتوح (٤٧٩) .

فانتشر بها ، وانه لو كانت الكتابة منتشرة عندهم ، لما كلف الرسول القارئين الكاتبين من أسرى بدر، بأن يعلم كل واحد منهم عشرة من صبيان المدينة القراءة والكتابة ، فداءً لنفسه من الأسر[1] .

ويظهر ان يهود يثرب ، وربما بقية يهود ، مثـل يهود خيبر ، وتيماء وفدك ووادي القرى ، كانوا يكتبون بقلمهم ، كما كانوا يكتبون بالعربية ، ويظهر من استعمال (البلاذري) جملة : « وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية ، وكان تعلمه الصبيان بالمدينة في الزمن الأول »[2]،ان يهود يثرب كانوا يكتبون بالعربية ، كما كان يكتب بها صبيان المدينـة ، وكانوا يعلمون الكتابـة لصبيان يثرب في مدارسهم . وفي هذا الخبر وأمثاله دلالة على ان الكتابة كانت معروفة بين أهـل يثرب أيضاً قبل الاسلام ، وانها كانت قديمة فيهم ، ولهذا فلا معنى لزعم من قال انها انتشرت بيثرب في الاسلام ، وان الكتابة كانت قليلة بها قبل هذا العهد.

وقصد أهل الأخبار بجملة « وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية ، الكتابة بالخط العربـي الشمالي ، لا بالقلم المسند ، لأن هـذا هو مرادهم من (الكتاب العربـي) و (كتاب العربية) ، ويظهر ان اليهود قد تعلموا الخط العربـي من عرب العراق وبلاد الشأم،أو من التجار والمبشرين الذين كانوا يفدون الى الحجاز، وأما القلم المسند ، الذي هو قلم العرب الجنوبيين ، فلم يكن مستعملاً في يثرب، وإلا لأشير اليه ، مع انها من القواعد المتعصبة للقحطانية ، وحاملة الدعوة الى اليمن قبل الاسلام وفي الاسلام . وهذا يدل على ان المسند كان قـد طورد في جزيرة العرب قبل الاسلام ، وأن سلطانه كان قد تقلص كثيراً خارج العربيـة الجنوبيـة قبل نزول الوحي على الرسول ، وربما كان القلم العربـي الشمالي قد دخل العربية الجنوبية أيضاً قبل الاسلام ، فأخذ ينافس المسند فيها ، ولا سيما في المناطق التي تركزت فيها النصرانية وتحكمت في أهلها ، فأخذ النصارى يقاومون ذلك القلم ، لأنه قلم الوثنية ، ويعلّمون أولاد النصارى القلم العربـي الشمالي ، لأنه قلمهم الذي كانوا يعلمون به في كنائس العرب في العراق وفي دومة الجندل وبلاد الشأم .

وقد أطلق العرب على الذي يكتب بالعربية ويحسن العوم والرمي،وقيل الحساب

---

١ ابن سعد ، طبقات (الجزء الثاني ، القسم الاول) ، (١٤) .
٢ البلاذري ، فتوح (٤٥٩) ، (المكتبة التجارية) .

أيضاً ، والجَلَد أي الشجاعة ، وقول الشعر ، وأصحاب الشرف والنسب: الكملة. وجمع بعض أهل الأخبار الى ذلك استواء القامة وكمال الانسان[1] . ومن هؤلاء الكملة : (سعد بن عبادة بن دليم) سيد الخزرج ، وهو من أسرة غنية تطعم الفقراء ، ولها أطم يأوي اليه الفقراء للأكل . ولما نزل النبي يثرب ، كانت جفنة (سعد) تدور مع النبي ، وكان يعشي كل ليلة أهل الصفة[2] .

ومن الكملة : الربيع بن زياد العبسي . وكان هو واخوته من الكملة[3] . و (رافع بن مالك) ، و (أسيد بن حضير) ، و (عبدالله بن أبي) ، و (أوس بن خولى) ، و (سويد بن الصامت) ، و (حضير الكتائب)[4].

ويظهر من النظر الى قائمة أسماء من أدخلهم أهل الأخبار في الكملة ، ان الكتابة والرماية والعوم ، لم تكن الشروط الأساسية الكافية ، لكي يعد الانسان كاملاً ، فقد توفرت هذه الشروط في أناس آخرين ، لم يدخلوا مع ذلك في الكملة ، وانما هنالك أشياء أخرى بالاضافة الى الأمور المذكورة ، هي الشرف وكمال الجسم والعقل والامتناع عن الهجر في الكلام ، والتحلي بالحكمة وبالفطانة واللب وقول الشعر المحكم الحكيم .

وكان (عبد الرحمان بن جبر) ، أبو عبس الأنصاري ، يكتب بالعربية قبل الاسلام . ومات سنة أربع وثلاثين[5] .

وكان (المنذر) ، (منذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان) الخزرجي من الكتبة . وكان أحد السبعين الذين بايعوا الرسول ، وأحد النقباء

---

١ المعارف (٢٥٩) ، الاغاني (٣/٢٥) ، (دار الكتب) ، ابن سعد ، طبقات (٣/٥٤٢)

٢ ابن سعد طبقات (٣/٦١٣) ، الاصابة (٢/٢٧) ، (رقم ٣١٧٣) ، الاستيعاب (٢/٣٢ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) ، أسد الغابة (٢/٣٧٨) ، ابن الاثير ، الكامل (٢/٣٧٨) ، ابن هشام (٢/٨٩) .

٣ أمالي المرتضى (١/١٣٦ ، ١٩٠) ، الاغاني (١٦/٢٢ وما بعدها) .

٤ فتوح البلدان (٤٥٩ وما بعدها) ، ابن سعد ، طبقات (٣/٥٤٢) ، الاصابة (١/٩٨ وما بعدها) ، (رقم ٣٣٤) ، تفسير الطبري (٤/٢٣) ، الروض الانف (١/٢٦٥ وما بعدها) ، الاغاني (٢/١٦٤) ، ابن هشام ، سيرة (١/٢٦٥) ، (حاشية على الروض) .

٥ المعارف (٣٢٦) ، (أبو عيسى) ، الاصابة (٢/٣٨٦) ، (رقم ٥٠٩٧) ، (٤/١٥٠) ، (رقم ٨٨٠) .

الاثني عشر . « وكان يكتب في الجاهلية بالعربية »[1] . قتل يوم بئر معونة .

وكان (أبو جبيرة بن الضحاك) الأنصاري ، ممن يكتب . وقد تولى الكتابة للخليفة (عمر)[2] .

وكان (قيس بن نشبة) عم الشاعر (العباس بن مرداس) السلمي ، أو ابن عمه من الكتبة . ذكر انه كان ممن قرأ الكتب وتأله في الجاهلية . والعباس بن مرداس نفسه كان كاتباً ، ذكر انه لما سمع ان رجلاً من أهل مكة اشترى إبلاً لقيس بن نشبة فلواه حقه ، وان (قيساً) قام بمكة يقول :

يا آل فهرٍ كنت في هذا الحرم في حرمة البيت وأخلاق الكرم
أظلم لا يمنع مني من ظلم

بلغ ذلك (عباس بن مرداس) فكتب اليه أبياتاً منها :

وآئتِ البيوت وكن من أهلها مدداً تلق ابن حرب وتلق المرء عبّاسا

فقام العباس بن عبد المطلب وأخذ له بحقه ، وقال : أنا لك جار ما دخلت مكة ، فكانت بينه وبين بني هاشم مودة[3] .

وفي جملة من كان يكتب ويقرأ من أهل مكة (حرب بن أمية) . واليه ينسب قوم من أهل الأخبار ادخال الكتابة بين قريش . وهو أبو (أبي سفيان ابن حرب) ، فهو جدّ (معاوية بن أبي سفيان) . وورد ان الذي حمل الكتابة الى قريش بمكة (أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة) . فهو ناشر الكتابة على هذه الرواية بين أهل مكة[4] . والاثنان على رأي أهل الأخبار من أقدم كتّاب مكة اذن ، بل هما ناشرا الكتابة بها . وقد ذهب (ابن قتيبة) ان (بشر بن عبد الملك العبادي) علم (أبا سفيان بن أمية) ، و (أبا قيس بن عبد مناف بن زهُرة)

---

١ الاستيعاب (٣/٤٣٨ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) ، الاصابة (٣/٤٤٠)، (رقم ٨٢٢٦) .
٢ الجهشياري (١٦) ، الاصابة (٤/٣١) ، (رقم ١٨٨) .
٣ الاصابة (٣/٢٤٩ وما بعدها) ، (٧٢٤٤) .
٤ الفهرست (ص ١٣) ، المعارف (٧٣) .

الكتاب ، فعلّما أهل (مكة)[1] . وقد ذكر (السيوطي) عن (أبـي طاهر) السلفي في (الطيوريات) بسنده عن (الشعبي) ، انه « قال : أول العرب الذي كتب بالعربية حرب بن أمية بن عبد شمس » . تعلم من أهل الحيرة ، وتعلم أهل الحيرة من أهل الأنبار[2] .

ولو أخذنا برأي من قال إن (حرب بن أمية) أو (أبو سفيان بن أمية)، هما أول من علم أهل مكة الكتابة ، نكون قد جعلنا (بني أمية) أول من أدخل القلم الى مكة ، بفضل تعليم (بشر) لهم هذا القلم . ومنهم انتشر بين أهل مكة في عهد غير بعيد عن ايام النبي .

وذكر ان في جملة من كان يكتب قبل الاسلام (عمرو بن عمرو بن عدس)[3].

وذكر (ابن النديم) ان (أسيد بن أبـي العيص) كان من كتّاب العرب. وذكر انه كان في خزانة (المأمون) كتاب بخط (عبد المطلب بن هاشم) في جلد أدم ، فيه ذكر حق (عبد المطلب بن هاشم) من أهل مكة على فلان بن فلان الحميري ، من أهل وزل صنعا عليه ألف درهم فضة كيلاً بالحديدة ومتى دعاه بها أجابه . وكان الخط شبه خط النساء[4] .

وكان (حنظلة بن أبـي سفيان) ممن يحسن الكتابة والقراءة بمكة . فقد ورد في الأخبار انه كتب من مكة الى والده (أبو سفيـان) ، وكان إذ ذاك مـع العباس بن عبد المطلب بنجران ، يخبره خبر الرسول[5] . وكان والده يكنى به . وقد قتله (علي بن أبـي طالب) يوم (بدر)[6] .

وكان (بغيض بن عامر بن هاشم) من كتّاب قريش قبل الاسلام . وهو الذي كتب الصحيفة على بني هاشم[7] . وورد ان (أبا الروم بن عبد شرحبيل) واسمه (منصور بن عكرمة) هو الذي كتب الصحيفة[8] .

---

١ المعارف (٥٥٣) .
٢ المزهر (٢/٣٤٢) .
٣ المزهر (٢/٣٥١) ، (النوع الثاني والاربعون : معرفة الكتابة) .
٤ الفهرست (١٣ وما بعدها) .
٥ الاغاني (٦/٢٥٠) ، (دار الكتب) .
٦ نسب قريش (١٢٣) .
٧ كتاب نسب قريش (٢٥٤) .
٨ كتاب نسب قريش (٢٥٥) ، الروض الانف (١/٢١٩) .

وكان (الوليد بن الوليد) وهو أخو (خالد بن الوليد) ممن يكتب ويقرأ، وكان (خالد) ممن يقرأ ويكتب كذلك . وكان الوليد سبب اسلام (خالد) . فقد كان قد فر من مكة ولحق بالرسول عمرة القضيّة ، وكتب الى أخيه خالد، ان الرسول قال له : « لو أتانا ، لأكرمناه ، وما مثله سقط عليه الاسلام في عقله » ، فوقع الاسلام في قلب خالد . وكان سبب هجرته[1] .

وكان (نافع بن ظريب بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف بن قصي) القرشي ممن يكتب . أسلم يوم الفتح . وهو الذي كتب المصاحف لعمر بن الخطاب[2] ، أو المصحف له . وذكر انه كان يكتب المصاحف،وانه كتب المصاحف لعثمان[3] ، فيظهر انه كان من نسّاخ المصاحف ، ينسخها للناس .

وكان (حاطب بن أبي بلتعة) من الكتّاب . وكان حليفاً لبني أسد بن عبد العُزى ، ويقال حالف الزبير ، وقيل مولى (عبيد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد) . وهو الذي كتب كتاباً الى أهل مكة يخبرهم بتجهيز رسول الله اليهم ، فنزلت فيه : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم »[4] . وقد شهد مع علي بن أبي طالب على كتاب رسول الله لسلمة بن مالك السلمي، الذي كتب الرسول به اقطاعه ما بين ذات الحناظى الى ذات الأساود[5] .

وكان الحكم بن أبي أحيحة سعيد بن العاصي ، وهو الذي سمّاه رسول الله (عبدالله) من اولئك الذين أمرهم الرسول ان يعلم الكتاب بالمدينة . وكان كاتباً قتل يوم (مؤتة)[6] .

يقول أهل الأخبار : ولما نزل الوحي كان « في قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب : عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وأبو عبيدة بن الجرّاح ، وطلحة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وحاطب بن عمرو ، أخو سهيل بن عمرو العامري من قريش،

---

١ نسب قريش (٣٢٤) .
٢ الاستيعاب (٣/٥١٠) ، (حاشية على الاصابة) .
٣ الاصابة (٣/٥١٥) ، (رقم ٨٦٥٨) .
٤ الاصابة (١/٢٩٩) ، (رقم ١٥٣٨) ، المقريزي ، امتاع (١/٣٦٢) .
٥ ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٥) .
٦ نسب قريش (١٧٤) .

وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، وأبان بن سعيد بن العاص بن أميـة ، وخالد بن سعيد أخوه ، وعبدالله بن سعد بن أبـي سرح العامري ، وحويطب بن عبد العزى العامري ، وأبو سفيان بن حرب بن أمية ، ومعاوية بن أبـي سفيان ، وجهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف ، ومن حلفـاء قريش : العلاء الحضرمي »[1] .

ولكننا لو أحصينا أسماء من كان يكتب من اهل مكة، ممن نص أهل الأخبار على أسمائهم ، وممن لم ينصوا على اسمهم ، وانما ذكروهم عرضاً في اثناء كلامهم عنهم فذكروا انهم كانوا يكتبون ويقرأون ، لوجدنا ان عددهم أكثر بكثير من هذا الرقم المذكور ، رقم سبعة عشر كاتباً ، او بضعة عشر نفراً[2] ، وهو عدد ورد البهم على ما يظهر من خبر آحاد ، انتشر في الكتب، فصار متواتراً منتشراً حتى في كتب المؤلفين في هذا اليوم ، اتخذوه دليلاً على أمية العرب قبل الاسلام .

وقد استعان الرسول بقوم كتبوا له ، أشار العلماء الى أسمائهم . منهم من كتب له الوحي ، فعرفوا من ثم بـ (كتاب الوحي) . ومنهـم من كتب له بريده ورسائله،ومنهم من تولى له تدوين المغانم وأمور الزكاة والخرص والصدقة وما الى ذلك من امور اقتضاها تطور الظروف والأحوال ، ومنهم مثل (زيد بن ثابت) من كتب له بالعربية وبالعبرانية او السريانية . وذكر ان بعضهم كان مثـل زيد يكتب بغير العربية أيضاً . وكان ممن كتب له : (عـلي بن ابـي طالب) ، و (عثمان بن عفان) ، و (معاوية بن أبـي سفيان) ، و (حنظلة الأسيدي) ، و (خالد بن سعيد بن العاص) ، و (ابان بن سعيـد) ، و (العلاء بن الحضرمي) ، و (عبدالله بن أبـي سرح)[3] .

وروي ان « أول من كتب له أبـي بن كعب ، وكان اذا غاب أبـي كتب له زيد بن ثابت » ، وكان يكتب في الجاهلية[4] .

---

١ فتوح البلدان (٤٥٧) ، (أمر الخط) .
٢ فتوح البلدان (٤٥٧) ، (أمر الخط) ، العقد الفريد (٤/٢٤٢) .
٣ الطبري (٣/١٧٣) (ذكر من كان يكتب لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم) ، التنبيه والاشراف (٢٤٥ وما بعدها) ، الوزراء والكتاب (١٢ وما بعدها) ، العقد الفريد (٤/٢٤٦) .
٤ الطبري (٣/١٧٣) ، (دار المعارف) ، المعارف (١١٢ وما بعدها) .

وجاء في ترجمة أنس بن مالك : أن أمه جاءت به يوم قدم الرسول يثرب وقالت له : « يا رسول الله ، هذا ابني وهو غلام كاتب »[1] . ومعنى هذا أن غلمان يثرب كانوا يقرأون ويكتبون .

وقد ورد في أخبار (بدر) أنه كان في أسرى قريش قوم يقرأون ويكتبون ، وقد أمر رسول الله بفك رقاب هؤلاء الأسرى على أن يكون فداؤهم تعليم كل واحد منهم عشرة من صبيان المسلمين الكتابة والقراءة[2] . وقد علّم كل واحد منهم صبيان يثرب الكتابة فانتشرت الكتابة بينهم[3] .

وذكر أن ممن كتب لرسول الله : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، والزبير بن العوّام ، وخالد وابان ابنا سعيد بن العاص ، وحنظلة الأسيدي ، والعلاء بن الحضرمي ، وخالد بن الوليد ، وعبدالله بن رواحة ، ومحمد بن مسلمة ، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح ، وعبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول ، والمغيرة بن شعبة ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وجهيم بن الصلت ، ومعيقيب بن أبي فاطمة ، وشرحبيل بن حسنة ، وعبدالله ابن الأرقم الزهري . وذكر أن عدد من كتب للرسول ثلاثة وأربعون كاتباً[4] .

وأول من كتب للنبيّ من قريش (عبدالله بن سعد بن أبي سرح)، وأول من كتب له مقدمه المدينة (أبي بن كعب) ، وهو أول من كتب في آخر الكتاب : وكتب فلان بن فلان . وهو من كتاب الوحي والرسائل . وقد كان (عبدالله بن الأرقم الزهري) من كتاب الرسائل للرسول ، وأما الكاتب لعهوده إذا عهد وصلحه إذا صالح ، فعلي بن أبي طالب[5] . وقد وردت في أواخر بعض كتب الرسول أسماء كتاب تلك الكتب .

وفي طبقات (ابن سعد) صورة كتاب أمر بتدوينه رسول الله لنهشل بن مالك الوائلي من باهلة ، كتبه (عثمان بن عفّان)[6] .

---

١ ابن سعد ، الطبقات الكبرى (٧/١٠) .
٢ طبقات (٢/١ ص ١٤) .
٣ امتاع الاسماع (١/١٠١) .
٤ الاستيعاب (١/٣٠) ، (حاشية على الاصابة) ، الجهشياري ، كتاب الوزراء والكتاب (١٢ وما بعدها) ، العقد الفريد (٤/٢٤٦) .
٥ الاستيعاب (١/٣٠) ، الجهشياري ، (١٣) .
٦ ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٤) .

وكان (علي بن أبي طالب) من كتاب الوحي ، والكاتب لعهـــود الرسول إذا عهد ، وصلحه إذا صالح[1] . ذكر أنه تعلم الكتابة وهو صغير ، ابـن أربع عشرة سنة ، تعلمها في (الكتاب)[2] .

وكان من كتّاب رسول الله الذين كتبوا له الرسائل الى سادات القبائل يدعوهم فيها الى الاسلام : خالد بن سعيد بن العاص[3] ، والمغيرة بن شعبة[4] ، ومعاوية[5] ، وعبدالله بن زيد[6] ، وأبي بن كعب[7] ، وعلي[8] . وجُهيم بن الصلت[9] ،والأرقم ابن أبي الأرقم المخزومي[10] ، والزبير بن العوّام[11] ، والعـلاء بن الحضرمي[12] ، وعقبة[13] ، والعلاء بن عقبة[14] ،وعثمان بن عفـّان[15] ، ومحمد بن مسلمة الأنصاري[16] ، وثابت بن قيس بن شماس[17] .

وعبدالله بن سعد بن أبـي سرح ، من كتاب الرسول ، وقد كان أول مرتد في الإسلام . ارتد وكان قد خالف في كتابه إملاءه ، فأنزل الله فيـــه آيات من القرآن نهى فيه عن اتخاذه كاتباً ، فهرب ، فلما كان يوم (الفتح) التجأ[18] الى (عثمان) أخوه من الرضاعة فأجاره ، واستجار له (عثمان) عند النبي فأجاره له . وقد عينه (عثمان) عاملاً على مصر ، وافتتح إفريقية، ومات سنة ست وثلاثين ،

---

١ الاستيعاب (١/ ٣٠) ، (حاشية على الاصابة) .
٢ الفصول المختارة ، للمفيد (٢/٦٦) ، (النجف) .
٣ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٦٥ ، ٢٧١) .
٤ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٦٦ ، ٢٦٨) .
٥ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٦٦ ، ٢٦٧) .
٦ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٦٧) .
٧ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٦٧ ، ٢٧٨) .
٨ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٦٧) .
٩ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٦٨) ، الاصابة (١/ ٢٥٧) ، (١٢٥٦) .
١٠ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٦٨ ، ٢٦٩) .
١١ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٦٩) .
١٢ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٦٩ ، ٢٧١) .
١٣ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٧١) .
١٤ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٧١ ، ٢٧٣) .
١٥ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٨٤) .
١٦ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٨٦) .
١٧ ابن سعد ، الطبقات (١/ ٢٨٦) .
١٨ رسائل الجاحظ (٢/ ١٨٨) .

أو سبع وخمسين ، أو تسع وخمسين[1] . وروي أنه كان أول من كتب له من قريش[2] .

وهناك رواية يرجع سندها الى (أنس بن مالك) ، تذكر أن « رجلاً كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا أملى عليه سميعاً بصيراً ، كتب سميعاً عليماً ، وإذا أملى عليه سميعاً عليماً ، كتب سميعاً بصيراً . وكان قد قرأ البقرة وآل عمران ، وكان من قرأهما قرأ قرآناً كثيراً ، فتنصر الرجل ، وقال إنما كنت أكتب ما شئت عند محمد .. قال : فمات »[3]. ولا نعرف كاتباً ينطبق عليه هذا الوصف سوى (عبدالله بن سعد بن أبي سرح) . فهو المراد بهذه القصة . وهي قصة لا يمكن أن تكون صحيحة ، لأن ارتداد (عبدالله) إنما كان بمكة ، فدليل النص عليه في سورة الأنعام[4] ، وهي سورة مكية ، فكيف يكون قد قرأ سورة البقرة وآل عمران ، ثم تنصر ، وهما سورتان مدنيتان .

وفي (عبدالله) نزلت الآية : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ، أو قال : أوحي إليّ ولم يوحَ اليه شيء . ومن قال : سأنزل مثل الذي أنزل الله »[5]، على رأي أكثر المفسرين . « كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكان فيما يملي عزيز حكيم ، فيكتب غفور رحيم ، فيغيره ، ثم يقرأ عليه كذا وكذا لما حوّل ، فيقول نعم سواء . فرجع عن الإسلام ، ولحق بقريش . وقال لهم : لقد كان ينزل عليه عزيز حكيم ، فأحوّله ثم أقول لما أكتب ، فيقول : نعم سواء . ثم رجع الى الإسلام قبل فتح مكة » . وورد في رواية أخرى: « وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا أملى عليه سميعاً عليماً ، كتب هو عليماً حكيماً : وإذا قال : عليماً حكيماً ، كتب سميعاً عليماً ، فشك وكفر . وقال : إن كان محمد يوحى اليه ، فقد أوحي إليّ وإن كان الله ينزله ، فقد أنزلت مثل ما أنزل الله . قال محمد : سميعاً عليماً . فقلت أنا : عليماً حكيماً .

---

١ الاصابة (٢/٣٠٩) ، (رقم ٤٧١١) .
٢ الاستيعاب (١/٣٠) ، (حاشية على الاصابة) ، البلاذري ، أنساب (١/٣٥٨) ، الجهشياري (١٣) .
٣ السجستاني ، المصاحف (٣) .
٤ أسباب النزول (١٦٥) .
٥ الانعام ، الاية ٩٣ .

فلحق بالمشركين ، ووشى بعمّار وجبير عند ابن الحضرمي ، أو لبني عبد الدار ، فأخذوهم فعذّبوا »[1] .

وورد في رواية أخرى : « كان قد تكلم بالإسلام فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذات يوم يكتب له شيئاً ، فلما نزلت الآية التي في المؤمنين : ولقد خلقنا الإنسان من سلالة . أملاها عليه ، فلما انتهى الى قوله : ثم أنشأ خلقاً آخر ، عجب عبدالله في تفصيل خلق الإنسان ، فقال : تبارك الله أحسن الخالقين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هكذا أنزلت عليّ ، فشك عبدالله حينئذ، وقال لئن كان محمد صادقاً لقد أوحي إلي كما أوحي اليه ، ولئن كان كاذباً ، لقد قلت كما قال . وذلك قوله : ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله . وارتد عن الإسلام »[2] .

وورد أنه كان يقول : كنت أصرف محمداً حيث أريد . كان يملي عليّ عزيز حكيم ، فأقول : أو عليم حكيم ، فيقول : نعم كلّ صواب . فهدر النبي دمه[3] . وذكر أنه « قال لقريش : أنا آتي بمثل ما يأتي به محمد . وكان يملي عليه الظالمين ، فيكتب : الكافرين ، يملي عليه سميع عليم ، فيكتب : غفور رحيم وأشباه ذلك . فأنزل الله : ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ، أو قال أوحي إليّ ، ولم يوح إليه شيء . ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله . فلما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله بقتله ، فكلمه فيه عثمان بن عفّان ، فأمر رسول الله بتركه[4] .

وقد ذكر (الجاحظ) أنه « كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخالف في كتابة املائه . فأنزل الله فيه آيات من القرآن نهى فيه عن اتخاذه كاتباً ، فهرب حتى مات بجزيرة العرب كافراً »[5] . والصحيح أنه هرب ، فلما كان يوم الفتح أمن النبي الناس إلا أربعة نفر وامرأتين . عكرمة ؛ وابن خطل ، ومقيس ابن صبابة ، وابن أبي سرح ، فأما عبدالله فاختبأ عند عثمان ، فجاء به حتى

---

١ تفسير الطبري (٧/١٨٠ وما بعدها) .
٢ أسباب النزول (١٦٥) .
٣ المعارف (١٣٠ وما بعدها) ، امتاع الاسماع (١/٣٩٣) .
٤ فتوح البلدان (٤٥٩) ، (أمر الخط) ، المعارف (٣٠٠ وما بعدها) .
٥ ذم أخلاق الكتاب ، رسائل الجاحظ (٢/١٨٨) .

أوقفه على النبي ، وهو يبايع الناس ، فاستجار له عثمان ، فأجاره . وعاش وشهد فتح مصر مع (عمرو بن العاص) ، وأمّره (عثمان) على مصر . واختلف في وفاته ، فقيل مات سنة (٣٦ هـ) وقيل عاش الى سنة تسع وخمسين . وكان أخاً لعثمان في الرضاعة [١] .

وكان (جهيم بن الصلت بن مخرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي)، ممن تعلم الخط في الجاهلية ، فجاء الاسلام وهو يكتب ، وقد كان كتب لرسول الله [٢] . ذكر انه كان هو و (الزبير بن العوّام) يكتبان أموال الصدقات [٣] . وهو الذي كتب كتاب الرسول الى (يحنه بن رؤبة) بتبوك ، وكتابه ليزيد بن الطفيل الحارثي [٤] .

وذكر اسم (الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي) في جملة من كتب للرسول . ففي طبقات ابن سعد ، أنه كتب له كتابه لعبد يغوث بن وعلة الحارثي [٥] ، وكتابه لعاصم بن الحارث الحارثي [٦] ، وكتابه للأجب ، رجل من (بني سُليم) [٧]. وكان اسمه (عبد مناف بن أسد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم) ، ويكنى (أبا عبدالله) . كان من السابقين الأولين ، قيل أسلم بعد عشرة ، وقيل قبل ذلك . وكان رسول الله يجلس في داره التي على (الصفا) ، حتى تكاملوا أربعين رجلاً ، وكان آخرهم إسلاماً (عمر) فلما تكاملوا أربعين رجلاً خرجوا ،وأقطعه النبي داراً بالمدينة [٨] .

و (عبدالله بن الأرقم بن أبي الأرقم) من كتاب الرسول كذلك . كان يجيب عنه الملوك ، وبلغ من أمانته عنده أنه كان يأمره أن يكتب الى بعض الملوك

---

١ الاصابة (٢/٣٠٩) ، (رقم ٤٧١١) ، أسد الغابة (٣/١٧٣) ، الاستيعاب (١/٣٨١) .
٢ الاصابة (١/٢٥٧) ، (رقم ١٢٥٦) . فتوح البلدان (٤٥٩) ، (أمر الخط) ، الاستيعاب (١/٢٤٩) ، (حاشية على الاصابة) .
٣ المسعودي ، التنبيه (٢٤٥) ، (كتاب من حضر من الكتاب) .
٤ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٨) .
٥ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٨) .
٦ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٩) .
٧ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٣ وما بعدها) .
٨ الاصابة (١/٤٢ وما بعدها) ، (رقم ٧٣) .

فيكتب ويختم ولا يقرأه لأمانته عنده . « قال عمر : كتب الى النبي ، صلى الله عليه وسلم كتاب . فقال لعبدالله بن الأرقم الزهري : أجب هؤلاء عني . فأخذ عبدالله الكتاب فأجابهم ، ثم جاء به ، فعرضه على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أصبت . قال عمر : فقلت : رضي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما كتبت ، فما زالت في نفسي يعني حتى جعلته على بيت المال »[1] . وكتب لأبي بكر وعمر ، وكان على بيت المال أيام عمر ، وكان أميراً عنده . وذكر أنه كان إذا غاب عن الرسول ، وغاب زيد بن ثابت ، واحتاج الرسول أن يكتب الى أحد أمر من حضر أن يكتب . فمن هؤلاء عمر وعلي وخالد بن سعيد والمغيرة[2] .

وكان عبدالله بن الأرقم بن عبد يغوث الزهري ، والعلاء بن عقبة ، يكتبان بين الناس المداينات وسائر العقود والمعاملات[3] . وذكر ان (عبدالله بن الأرقم) الزهري ، كان من المواظبين على كتابة الرسائل عن النبي[4] .

وكان (حنظلة بن الربيع بن صيفي) الأسيدي ، من كتاب الرسول ، وقد نعته الطبري بـ (كاتب النبي)[5] . وعرف بـ (الكاتب) . وهو من (بني أسيد) ، وبنو أسيد من أشراف تميم . وهو ابن أخي (أكثم بن صيفي) حكيم العرب[6] . وقد عرف بـ (حنظلة الكاتب)[7] . وذكر انه كان « خليفة كل كاتب من كتّاب النبي ، اذا غاب عن عمله ، فغلب عليه اسم الكاتب . وكان يضع عنده خاتمه ، وقال له : ألزمني ، واذكرني بكل شيء لثالثة . فكان لا يأتي على مال ولا طعام ثلاثة ايام إلا أذكره ، فلا يبيت رسول الله وعنده شيء منه » . ومات بمدينة الرها[8] .

---

١ الاصابة (٢/٢٦٥) ، (رقم ٤٥٢٥) ، نزهة الجليس (٢/٦٥) .
٢ الاصابة (٢/٢٦٥) ، (رقم ٤٥٢٥) .
٣ المسعودي ، التنبيه (٢٤٥) .
٤ الاستيعاب (١/٣٠) ، (حاشية على الاصابة) .
٥ الطبري (٣/٥٧٠) « دار المعارف » ، المعارف (٢٩٩ وما بعدها) .
٦ الاستيعاب (١/٢٧٨) ، (حاشية على الاصابة) .
٧ فتوح البلدان (٤٥٩) ، الاصابة (١/٣٥٩) ، (رقم ١٨٥٩) .
٨ الجهشياري (١٣) .

ومن كتّاب الرسول : (شرحبيل بن حسنة) الطائي . ويقال الكندي[1] ، ويقال التميمي[2] . وهو ممن سيره (أبو بكر) في فتوح الشأم . وكان أميراً على ربع من أرباع الشأم لعمر بن الخطاب ، وقد مات في طاعون (عمواس) .

وكان (خالد بن سعيد بن العاص) (خالد بن سعيد بن العاصي) ممن كتب للرسول . كتب له كتابه الى (بني عمرو بن حمير)[3] . وهو من السابقين الأولين . وقد استعمله الرسول على صدقات مذحج[4] وعلى صنعاء ، فلم يزل عليها الى أن مات رسول الله[5] . وكان له اخوة هما : أبان وعمرو بن سعيد بن العاص، وكانا ممن عملا للرسول . فلما توفي الرسول ، رجعا مع خالد عن أعمالهم، فخرجوا الى الشام[6] ، وفي جملة ما كتبه خالد ، كتاب الرسول لبني أسد[7] ، وكتابه للعدّاء بن خالد بن هوذة ومن تبعه من عامر بن عكرمة[8] ، وكتابه لراشد ابن عبد السلمي ، وكتابه لحرام بن عبد عوف من (بني سُليم)[9] ، وكتابه لبني غاديا ، وهم قوم من يهود ، وكتابه لبني عريض ، قوم من يهود[10] ، وكتابه لثقيف[11] ، وكتابه لسعيد بن سفيان الرعلي[12] .

وكان (ابان بن سعيد بن العاص) (العاصي) ، وهو أخو خالد ، ممن أسلم بعد هجرة الرسول إلى يثرب . ويقال ايام خيبر . وكان هو الذي تولى إملاء مصحف عثمان على زيد بن ثابت ، يوم جمعه في خلافة عثمان ، أمرهما بذلك عثمان . وذلك في رواية من جعله حياً إلى ايام الخليفة (عثمان) . وزعم في

---

١ فتوح البلدان (٤٥٩) ، (أمر الخط) .
٢ الاصابة (١٤١/٢) ، (رقم ٣٨٦٩) ، الاستيعاب (١٣٨/٢ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .
٣ ابن سعد ، طبقات (٢٦٥/١) ، الجهشياري (١٢) .
٤ الاصابة (٤٠٦/١) ، (رقم ٢١٦٧) ، الاستيعاب (٣٩٨/١ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .
٥ الاستيعاب (٤٠٠/١) ، (حاشية على الاصابة) .
٦ الاصابة (٥٣٢/٢) ، (رقم ٥٨٤٨) ، الاستيعاب (٤٠٠/١) .
٧ ابن سعد ، طبقات (٢٧٠/١) ،
٨ ابن سعد ، طبقات (٢٧٣/١) .
٩ ابن سعد ، طبقات (٢٧٤/١) .
١٠ ابن سعد ، طبقات (٢٧٩/١) .
١١ ابن سعد ، طبقات (٢٨٤/١) .
١٢ ابن سعد ، طبقات (٢٨٥/١) .

روايات أخرى انه قتل يوم أجنادين سنة ثلاث عشرة ، أو يوم اليرموك . وقيل قتل يوم مرج الصفر . وذكر في رواية انه توفي سنة سبع وعشرين في خلافة عثمان[1] .

وكان (طلحة) من الكتبة[2] . وهو أحد الثمانية الذين سبقوا إلى الاسلام ، وأحد الستة أصحاب الشورى . وكان تاجراً ، وكان عند وقعة بدر في تجارة في الشأم . ولما قدم المدينة آخى النبي بينه والزبير[3] . وذكر انه آخى بينه وبين (كعب بن مالك) حين آخى بين المهاجرين والأنصار . وكان من الأغنياء ، كانت غلته ألفاً وافياً كل يوم . والوافي وزنه وزن الدينار ، وعلى ذلك وزن دراهم فارس التي تعرف بالبغلية[4] .

والزبير بن العوّام في جملة من كتب للرسول . كتب له كتابه لبني معاوية بن جرول الطائيين[5] .

و (أبو عبيدة بن الجراح) ، من هذه الجماعة الكاتبة القارئة . وهو من الأوائل الذين دخلوا في الاسلام ، كان إسلامه قبل دخول النبي دار (الأرقم) ، وقد آخى الرسول بينه وبين (سعيد بن معاذ)[6] .

و (العلاء بن الحضرمي) ، وهو (عبدالله بن عماد) ، وكان أبوه قد سكن مكة وحالف حرب بن أمية ، وكان للعلاء عدة إخوة منهم : (عمرو بن الحضرمي) ، وهو أول قتيل من المشركين ، وماله أول مال خمس في المسلمين ، وبسببه كانت وقعة بدر . وقد استعمل النبي (العلاء) على البحرين[7] . وهو الذي كتب للرسول كتابه لبني معن الطائيين[8] ، وكتابه لأسلم من خزاعة[9] . وكان

---

١ الاصابة (١/٢٤) ، (رقم ٢) .
٢ المزهر (٢/٣٥١) .
٣ الاصابة (٢/٢٢٠) ، (رقم ٤٢٦٦) .
٤ الاستيعاب (٢/٢١٠ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .
٥ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٩) .
٦ الاصابة (٢/٢٤٣) ، (رقم ٤٤٠٠) ، الاستيعاب (٣/٢) ، (حاشية على الاصابة)
٧ الاصابة (٢/٤٩١) ، (رقم ٥٦٤٤) .
٨ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٩) ، (صادر) .
٩ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧١) .

أخوه (ميمون بن الحضرمي) صاحب بئر (ميمون) التي بأبطح مكة، احتفرها في الجاهلية . وذكر (المسعودي) أن العلاء ربما كتب بين يدي النبي مع (ابان ابن سعيد)[1] .

و (يزيد بن أبي سفيان) أخو (معاوية) من الكتاب كذلك توفي سنة (١٨) أو (١٩) للهجرة[2] . وهو ممن أسلم يوم الفتح . وقد كان عمر قد استخلفه على (الشأم) بعد وفاة (معاذ) ، فلما مات استخلف أخاه (معاوية)[3] .

وكان (معاوية بن أبي سفيان) من كتبة الرسول . وذكر أنه كان (من الكتبة الحسبة الفصحاء)[4] . ومعنى هذا أنه كان يتقن الكتابة والحساب . ولم يذكر من ذكر سيرته متى تعلم الكتابة . ولا استبعد أن يكون قد تعلمها بمكة قبل دخوله في الإسلام . وهو ممن ولد قبل الإسلام وأسلم عام الفتح . فتكون كتابته للرسول اذن بعد هذا العام . ومن كتبه التي كتبها للرسول كتابه لربيعة بن ذي مرحب الحضرمي[5] ، وكتابه لبني قرة بن عبدالله بن أبي نجيح النبهانيين[6] ، وكتابه لعتبة بن فرقد[7] ، وكتابه لوائل بن حجر لما أراد الشخوص الى بلاده[8] .

وذكر (المسعودي) أن (معاوية) كتب للرسول قبل وفاته بأشهر[9] .

و (المغيرة بن شعبة) من دهاة العرب وشياطينهم . أسلم قبل عمرة الحديبية. وكان يقال له (مغيرة الرأي) . وكان رسول (سعد) الى (رستم) ، أصيبت عينه باليرموك ، وروي انه كان أول من وضع ديوان البصرة ، وأول من سلم

---

١ التنبيه (٢٤٦) .
٢ الاصابة (٦١٩/٣) ، (رقم ٩٢٦٧) .
٣ الاستيعاب (٦١٢/٣) ، (حاشية على الاصابة) .
٤ الاصابة (٤١٢/٣ وما بعدها) ، (رقم ٨٠٧٠) الاستيعاب (٣٧٥/٣ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) ، الجهشياري (١٢) .
٥ ابن سعد ، طبقات (٢٦٦/١) .
٦ ابن سعد ، طبقات (٢٦٧/١) .
٧ ابن سعد ، طبقات (٢٨٥/١) .
٨ ابن سعد ، طبقات (٢٨٧/١) .
٩ المسعودي ، التنبيه (٢٤٦) .

General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)

عليه بالامرة[1] . وهو الذي كتب كتاب رسول الله الى أهل نجران[2] . وكتابه ليزيد بن المحجل الحارثي . وكتابه لبني قنان بن ثعلبة من بني الحارث[3] ، وكتابه لبني جُوين الطائيين ، وكتابه لعامر بن الأسود بن عامر بن جوين الطائي[4] ، وكتابه لبني الجُرمز بن ربيعة ، وهم من جهينة[5] . وذكر انه والحصين بن نمير كانا يكتبان ما بين الناس[6] .

و (معيقيب) ابن أبي فاطمة ، من (ذي أصبح) وقيل من (بني سدوس) ، وكان حليفاً لبني عبد شمس . أسلم بمكة . وقد ولاه (عمر) بيت المال ، ثم كان على خاتم (عثمان)[7] . وورد انه كان حليف بني أسد ، وكان يكتب مغانم رسول الله[8] .

وكان (عقبة بن عامر بن عبس) الجهني الصحابي المشهور من الكتاب . وصف بأنه « كان قارئاً عالماً بالفرائض والفقه ، فصيح اللسان ، شاعراً كاتباً ، وهو أحد من جمع القرآن » . وعثر على مصحفه بمصر على غير تأليف مصحف (عثمان) « وفي آخره : كتبه عقبة بن عامر بيده »[9] . ونجد في طبقات (ابن سعد) صورة كتاب أمر الرسول بكتابته لعوسجة بن حرملة الجهني في آخره : « وكتب عقبة وشهد »[10] .

وجاء في خبر ضعيف أنه كان للرسول كاتب يقال له (السجل) ، وكاتباً يقال له : « ابن خطل ، يكتب قدام النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا نزل : غفور رحيم ، كتب رحيم غفور ، وإذا نزل : سميع عليم ، كتب عليم سميع . وفيه : فقال ابن خطل : ما كنت أكتب إلا ما أريد ، ثم كفر ولحق بمكة .

---

١ الاصابة (٣/٤٣٢) ، (رقم ٨١٨١) .
٢ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٦) ، (صادر) .
٣ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٨) ، (صادر) .
٤ الطبقات (١/٢٦٩) ، (صادر) .
٥ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧١) .
٦ الجهشياري (١٢) .
٧ الاصابة (٣/٤٣٠) ، (رقم ٨١٦٦) .
٨ الجهشياري (١٢) .
٩ الاصابة (٢/٤٨٢) ، (رقم ٥٦٠٣) .
١٠ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧١) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من قتل ابن خطل ، فهو في الجنة . فقتل يوم الفتح وهو متعلق بأستار الكعبة »[1] . وهذا وهم ، وقد خلط صاحب هذا الخبر بين (عبدالله بن أبي سرح) وبين (ابن خطل) الذي لم يرد في الأخبار أنه كتب للرسول .

وذكر (ابن دحية) أن في (بني النجار) كاتباً كان يكتب الوحي للرسول ثم تنصر[2] . وهو خبر لا نجده في الموارد الأخرى ، ولم ينص على اسم الكاتب، والأغلب في نظري أنه من الأخبار الموضوعة ، وضع على بني النجار للإساءة اليهم ، وضعه من كان يتحامل عليهم .

ويظهر ان كتّاب الرسول قد وزعوا الأعمال الكتابية فيما بينهم،او ان الرسول هو الذي وزع تلك الأعمال عليهم ، بحيث خصص كل واحد منهم بعمل من الأعمال . فقد روي ان علياً وعثمان كانا يكتبان الوحي فإن غابا كتب أبي بن كعب وزيد بن ثابت . وان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية يكتبان بين يديه في حوائجه ، وان المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير يكتبان ما بين الناس . وان عبدالله بن الأرقم والعلاء بن عقبة يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياههم وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء . وان زيد بن ثابت يكتب الى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحي . وان معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي يكتب مغانم رسول الله . وان حنظلة بن الربيع (ربيعة) بن المدقع بن أخي أكثم بن صيفي الأسدي (الأسيدي) ، خليفة كل كاتب من كتّاب النبي ، اذا غاب عن عمله فغلب عليه اسم الكاتب . وكان يضع عنده خاتمه . وقال له : الزمني واذكرني بكل شيء لثالثة . فكان لا يأتي على مال ولا طعام ثلاثة ايام إلا اذكره ، فلا يبيت رسول الله وعنده شيء منه[3] . فهو كاتب عام يكتب للرسول في كل أموره ، وهو خليفة كل الكتّاب . ولهذا غلبت عليه لفظة (الكاتب) . وقد كانت وفاته في خلافة (عمر) ، ومات في (الرها) من بلاد مضر[4] .

---

١ ابن سيد الناس ، عيون الاثر (٣١٦/٢) .

٢ ابن سيد الناس ، عيون الاثر (٣١٦/٢) .

٣ الجهشياري (١٢ وما بعدها) ، المسعودي ، التنبيه (٢٤٥) ، المعارف (١٣٠) .

٤ المسعودي ، التنبيه (٢٤٦) . المعارف (١٣٠) .

وذكر أن (المغيرة بن شعبة) و (الحصين بن نمير) يكتبان أيضاً فيما يعرض من حوائجه[1] .

و (حذيفة بن اليمان)(توفي سنة ٣٦ هـ) ممن يكتب خرص النخل[2] . وخصص (المسعودي) عمله بخرص الحجاز[3] .

وذكر (عبدالله بن زيد) الضمري في جملة كتّاب رسول الله الي الملوك[4] . ونجد في طبقات (ابن سعد) صورة كتاب أرسله رسول الله (لمن أسلم من حدّس من لخم) ، كتبه له (عبدالله بن زيد)[5] .

وكان (العلاء بن عقبة) فيمن كتب للنبي . وذكر أن الرسول كان يبعثه والأرقم في دور الأنصار . وكانا يكتبان بين الناس المداينات والعهود والمعاملات[6] . وفي جملة ما كتبه للرسول كتابه لبني شَنْخ من جهينة[7] ، وكتابه للعباس بن مرداس السلمي ، أنه أعطاه (مدفوداً)[8] . وذكر أنهما كانا يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياههم ، وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء[9] .

و (أُبي بن كعب بن قيس) من كتّاب الوحي ، وهو من يثرب من (بني النجار) من (الخزرج) . وقد عرف بـ (سيد القرّاء) ، وكان أقرأ الناس للقرآن . وكان أحد فقهاء الصحابة وأقرأهم لكتاب الله . وكان ممن كتب للنبي قبل (زيد بن ثابت) ومعه أيضاً . وذكر انه كان أول من كتب لرسول الله مقدمه المدينة ، وأول من كتب في آخر الكتاب : « وكتب فلان» وكان اذا لم يحضر دعا رسول الله (زيد بن ثابت) فكتب . وكان وزيد يكتبان الوحي

---

١ المسعودي ، التنبيه (٢٤٥) ، نهاية الارب (١٨/٢٣٦ وما بعدها) .
٢ المعارف (١١٤) ، نهاية الارب (١٨/٢٣٦) .
٣ المسعودي ، التنبيه (٢٤٥) .
٤ الاصابة (٢/٣٠٥) ، (رقم ٤٦٩٠) .
٥ الطبقات (١/٢٦٦ وما بعدها) .
٦ الاصابة (٢/٤٩١ وما بعدها) ، (رقم ٥٦٤٩) .
٧ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧١) .
٨ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٣) .
٩ الجهشياري (١٢) .

بين يدي الرسول ، ويكتبان كتبه الى الناس وما يقطع وغير ذلك[1] . ونجد في طبقات ابن سعد ، صور كتب دوّنها أُبي للرسول ، منها كتابه لخالد بن ضماد الأزدي ، وكتابه لعمرو بن حزم ، وهو عهد يعلمه فيه شرائع الاسلام وفرائضه وحدوده ، حيث بعثه الى اليمن[2] ، ومنها كتابه لجنادة الأزدي[3] ، وكتابه للمنذر ابن ساوى ، وكتابه الى (العلاء بن الحضرمي) ، بشأن ارسال ما تجمع عنده من الصدقة والعشور[4] ، وكتابه لجمّاع في جبل تهامة كانوا قد غصبوا المارة من كنانة والحكم والقارة ومن اتبعهم من العبيد[5] ، وكتابه لبارق من الأزد . وقد شهد على صحته أبو عبيدة بن الجرّاح وحذيفة بن اليمان[6] .

وزيد بن ثابت من الأنصار ، من (بني النجار) . ولما قدم الرسول المدينة استكتبه ، فكتب له الوحي ، كما تولى له أمر كتابة الرسائل . ذكر أنه تعلم الكتابة على أسرى (بدر) في جماعة من غلمان الأنصار . فقد « كان فداء الأسرى من أهل بدر أربعين أوقية أربعين أوقية ، فمن لم يكن عنده علّم عشرة من المسلمين ، فكان زيد بن ثابت ممن عُلّم ». وذكر أنه جاء الى أبيه وهو يبكي، فقال ما شأنك ؟ قال : ضربني معلمي ، قال : الخبيث يطلب بذحل بدر ، والله لا تأتيه أبداً[7] .

وروي أنه في السنة الرابعة من الهجرة أمر الرسول زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود ، وقال لا آمن أن يبدّلوا كتابي[8] . فتعلم كتابهم ، وتولى أمر كتابة رسائل الرسول اليهم ، والرد على رسائلهم[9] . ونسب اليه اتقانه الكتابة بلغات أخرى . ذكر المسعودي منها : الفارسية والرومية والقبطية والحبشية . وأنه تعلم

---

١ الاستيعاب (١/٢٧ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) ، الاصابة (١/٣١) ، (رقم ٣٢) ، فتوح البلدان (٤٥٨) ، (أمر الخط) ،
٢ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٧) ، المعارف (٢٦١) .
٣ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٠) .
٤ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٦) .
٥ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٨) .
٦ ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٦ وما بعدها) .
٧ امتاع الاسماع (١/١٠١) ، الطبقات (٢/١٤) ، الجهشياري (١٢) .
٨ امتاع الاسماع (١/١٨٧ ، ١٩٤) ، السجستاني ، المصاحف (٣) .
٩ فتوح البلدان (٤٧٣ وما بعدها) .

ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن ، وكان يكتب الى الملوك ويجيب بحضرة النبي ويترجم له[1] وقيل إنه كان من أعلم الصحابة بالفرائض[2] . وكان هو الذي تولى قسم غنائم اليرموك . وتولى جمع القرآن في أيام أبي بكر ، بتكليف من الخليفة. وذكر أنه كان « رأساً بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض »[3] . وقد عرض زيد القرآن على رسول الله ، « وكان آخر عرض رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، القرآن على مصحفه ، وهو أقرب المصاحف من مصحفنا »[4] .

وكان حين قدم رسول الله المدينة ابن احدى عشرة سنة . وكان يوم (بعاث) ابن ست سنين وفيه قتل أبوه . ويظهر انه كان قد تعلم الكتابة وهو صغير. ذكر انه أتي بزيد النبي مقدمه المدينة ، فقيل هذا من بني النجار وقد قرأ سبع عشرة سورة، فقرأ عليه فأعجبه ذلك، فقال : تعلم كتاب يهود، فإني ما آمنهم على كتابي . فتعلمها ، وتولى الكتابة بالعبرانية أو السريانية بين الرسول واليهود ، فضلاً عن كتابة رسائله وما ينزل عليه من الوحي حين يكون عنده . لذلك عدّ من البارزين في قراءة القرآن . وبرز في القضاء والفتوى والفرائض، وعدّ من أصحاب الفتوى، وهم ستة : عمر وعليّ وابن مسعود وأبي وأبو موسى ، وزيد بن ثابت . وهو الذي جمع القرآن[5] .

وهو الذي جمع القرآن في عهد (أبي بكر) ، وقد اختلف في سنة وفاته، فقيل مات سنة اثنتين أو ثلاث أو خمس وأربعين ، وقيل سنة احدى أو اثنتين ، أو خمس وخمسين . وفي خمس وأربعين قول الأكثر . وذكر ان حسان رثاه بقوله :

---

١ التنبيه (٢٤٦) ، فتوح البلدان (٤٧٩) ، السجستاني ، المصاحف ، تقييد العلم (٥١) .

٢ الاستيعاب (١/٢٩) ، (حاشية على الاصابة) .

٣ الاصابة (١/٥٤٣ وما بعدها) ، (رقم ٢٨٨٠) ، الاستيعاب (١/٥٣٢) ، (حاشية على الاصابة) .

٤ المعارف (٢٦٠) .

٥ الاصابة (١/٥٤٣) ، (رقم ٢٨٨٠) ، الاستيعاب (١/٥٣٢) ، (حاشية على الاصابة) ، نزهة الجليس (٢/٦٥) ، أسد الغابة (٢/٢٢١ وما بعدها) .

فمن للقوافي بعد حسان وابنه ومن للمعاني بعد زيد بن ثابت[1]

وعهد رسول الله الى (زيد) احصاء الناس والغنائم ، وتقسيمها عليهم حسب حصصهم[2] .

وكان (ثابت بن قيس بن شماس) الأنصاري ممن كتب للرسول . كتب له كتابه لوفد ثُمالة والحدّان . وقد شهد على الكتاب ووقع عليه (سعد بن عبادة)، و (محمد بن مسلمة)[3] . وكان خطيب الأنصار . وقد قتل يوم اليمامة[4] . وهو الذي أمره الرسول أن يجيب على خطاب خطيب (تميم) ولسانها الناطق (عُطارد ابن حاجب) . فكان خطيب المسلمين[5] .

و (محمد بن مسلمة) ، هو من الأوس . ولد قبل البعثة ، وهو أول من سُمّي في الجاهلية محمـــداً . أسلم قديماً على يدي (مصعب بن عمير) ، وآخى الرسول بينه وبين (أبـي عبيدة) . واستخلفه الرسول على المدينة في بعض غزواته . وقد كتب للرسول كتابه لمهري بن الأبيض . توفي سنة (٤٣) أو (٤٦ هـ)[6] .

وكان (أوس بن خولي) من كتّاب يثرب ، ولما كان صلح (الحديبية) وأراد الرسول تدوين الصلح « دعا أوسَ بن خولي يكتب ، فقـال سهيـــل : لا يكتب إلا ابن عمك عليّ ، أو عثمان بن عفان ، فأمر علياً فكتب »[7] . وهو من الخزرج . ولما آخى الرسول بين الأنصار والمهاجرين آخى بينه وبين شجاع بن وهب[8] . وكان من (الكملة) ، ولمـــا قبض الرسول وأرادوا غسله ، حضرت

---

١ الاصابة (١/٥٤٤) ، (رقم ٢٨٨٠) ، الطبري (٢/٤٢١) ، (مطبعة الاستقامة بالقاهرة) ، تهذيب الاسماء واللغات ، للنووي (١/٢٠٠ وما بعدها) ، تهذيـب التهذيب ، للعسقلاني (٣/٣٩٩) ، (حيدر آباد ١٣٢٥ هـ) ، اليعقوبي (٢/١٥٧ ، ١٩٥) ، (هوتسما) ، ابن هشام ، سيرة (٣/١١) ، (مطبعة حجازي بالقاهرة) .

٢ امتاع الاسماع (١/٤٢٦) .

٣ ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٦) ، (١/٣٥٤) ، (صادر) .

٤ الاصابة (١/١٩٧) ، (رقم ٩٠٤) .

٥ الطبري (٣/١١٦) ، (قدوم وفد تميم ونزول سورة الحجرات) .

٦ الاصابة (٣/٣٦٣ وما بعدها) ، (رقم ٧٨٠٨) ، ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٦) ، (١/٣٥٥) ، (صادر) .

٧ امتاع الاسماع (١/٢٩٦) .

٨ الاصابة (١/٩٥ وما بعدها) ، (رقم ٣٣٤) .

الأنصار ، وأبت على المهاجرين إلا أن يحضر منها أحد ، فقيل لهم : اجتمعوا على رجل منكم ، فاجتمعوا على أوس بن خولي ، فحضر غسل رسول الله ودفنه مع أهل بيته . وتوفي في خلافة عثمان[1] .

وكان (عبدالله بن رواحة) الخزرجي من كتّاب الرسول ومن الشعراء المعروفين بيثرب ومن السابقين الأولين من الأنصار وأحد النقباء ليلة العقبة. وكان الرسول يقول له : « عليك بالمشركين » ، فينظم الشعر فيهم . وكان يناقض (قيس بن الخطيم) في حروبهم ، ولما دخل الرسول مكة في عمرة القضاء كان ابن رواحة بين يديه ، وهو يقول :

خلّوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

ومدح الرسول ، وكان من جيد مدحه له قوله :

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبر[2]

وذكر بعض أهل الأخبار أنه لما نزلت : « والشعراء يتبعهم الغاوون . قال عبدالله بن رواحة : قد علم الله أني منهم ، فأنزل الله : إلا الذين[3] آمنوا وعملوا الصالحات »[4] . وسورة الشعراء التي فيها آية : « والشعراء يتبعهم الغاوون » وما بعدها ، من السور التي نزلت بمكة إلا هذه الآية وما بعدها ، وهي أربع آيات في آخرها ، نزلت بالمدينة في شعراء الجاهلية ، ثم استثنى منهم شعراء المسلمين منهم : حسان بن ثابت وكعب بن مالك ، وعبدالله بن رواحة ، فقال تعالى : إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً، وانتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، فصار الاستثناء ناسخاً له من قوله والشعراء يتبعهم الغاوون[5] .

---

١ الاستيعاب (١/٤٩) ، (حاشية على الاصابة) .
٢ الاصابة (٢/٢٩٨ وما بعدها) .
٣ في الاصابة (ان الذين) ، وهو غلط مطبعي .
٤ الشعراء ، الاية ٢٢٤ وما بعدها .
٥ الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص ١٥١ وما بعدها) ، (حاشية على اسباب النزول) ، (القاهرة ١٣١٥ هـ) .

وهناك كتبة آخرون كتبوا الكتاب والكتابين والثلاثة للرسول، ذكر (المسعودي) أنه لم يثبت أسماءهم في جملة أسماء من كتب للرسول لأنه لم يكتب من أسماء كتاب الرسول إلا من ثبت على كتابته واتصلت أيامه فيها وطالت مدته وصحت الرواية على ذلك من أمره دون من كتب الكتاب والكتابين والثلاثة إذ كان لا يستحق بذلك أن يسمى كاتباً ويضاف الى جملة كتابه[1] .

وذكر ان كتاب النبي كانوا يكتبون بالخط المقور ، وهو النسخي . أما الخط (المبسوط) ويسمى باليابس ، فقد استعمل في النقش على الأحجار وأبواب المساجد وجدران المباني ، وفي كتابة المصاحف الكبيرة ، وما يقصد به الزينة والزخرف ، وغلب عليه اطلاق لفظ (الكوفي)[2] .

وكان بشير بن كعب العدوي ممن قرأ الكتب[3] . وذكر أنه كان من التابعين[4]. وكان (عبدالله بن عمرو بن العاص) ممن قرأ الكتب ، وكان يكتب الحديث بين يدي رسول الله ، ويقرأ بالسريانية[5] .

وذكر أهل الأخبار ان رجلاً من أهل اليمن كان يقرأ الكتب ، وان امرأة اسمها (فاطمة بنت مرّ) ، كانت قد قرأت الكتب كذلك[6] .

وكان من النساء من يحسن القراءة والكتابة . منهن : (الشفّاء بنت عبدالله بن عبد شمس) القرشية العدوية . من رهط (عمر)[7] . أسلمت قبل الهجرة ، وهي من المهاجرات الأول . وكانت من عقلاء النساء ، وكان (عمر) يقدمها في الرأي . وكان رسول الله يزورها ويقيّل عندها في بيتها ، وكانت قد اتخذت له فراشاً وإزاراً ينام فيه . وقد أمرها الرسول أن تعلم (حفصة) الكتابة ، فعلمتها ،

---

١ المسعودي ، التنبيه (٢٤٦) .
٢ حفني بك ناصف (٦١ وما بعدها) .
٣ بضم أوله مصغرا ، الاصابة (١/١٨٣) ، (رقم ٨٢٢) .
٤ الاصابة (١/١٧٧) ، (رقم ٧٧٨) .
٥ المعارف (٢٨٧) ، الاصابة (٢/٣٤٣) ، (٤٨٤٧) ، الاستيعاب (٢/٣٣٨ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .
٦ الروض الانف (١/١٠٤) .
٧ فتوح البلدان (٤٧٧ وما بعدها) ، (٤٥٨) ، (المكتبة التجارية) .

كما علمتها (رقية) تسمى (رقية النملة)[1] . وقد تعلمت الكتابة في الجاهلية[2] .

وكانت (حفصة) زوج النبي وابنة (عمر) تكتب[3] . وكانت (أم كلثوم) بنت (عقبة) تكتب[4] . وكذلك كانت (عائشة بنت سعد) ، و (كريمة بنت المقداد)[5] ، و (شميلة)[6] .

وورد ان (عائشة) زوج الرسول ، انها كانت تقرأ المصحف ولا تكتب[7] . ولا شك في انهما تعلمتا القراءة في الاسلام .

وورد في بعض الأخبار أن العرب كانت تسمي كل من قرأ الكتب أو كتب: صابئاً . وكانت قريش تسمي النبي أيام كان يدعو الناس بمكة ويتلو القرآن صابئاً[8].

وقد اشتهر أهل اليمن بشيوع الكتابة والقراءة فيهم ، فكان غلمانهم يتعلمونها ويرددون قراءة ما يكتبون ويقرأون وقد أشير الى ذلك في شعر (لبيد) فورد :

فنعاف صارة فالقنان كأنها ... زبر يرجعها وليد يمان
متعود لحنٌ يعيد بكفه ... قلماً على عُسب، ذبلن وبان[9]

والزبر : الكتب ، فقال : كأن تلك المنازل كتب يرددها وليد يمان ، أي غلام يمانٍ ، لأن الكتاب فيهم ، لأنهم أهل ريف . متعود لذلك : فهمٌ ، ولحِنٌ : بمعنى فهم، يعيد بكفه قلماً ، يكتب في العسب والبان . وكانوا يكتبون في العسب والبان والعرعر[10] . فيظهر من ذلك أن أهل اليمن ، حتى غلمانهم ، كانوا يكتبون ، ويردد الأطفال الكتب ، لحفظها ولتعلمها ، على نحو ما يفعلون في الكتاتيب هذا اليوم .

---

١ الاصابة (٤/٣٣٣) ، (رقم ٦٢٢) .
٢ فتوح البلدان (٤٥٨) ، (أمر الخط) .
٣ فتوح البلدان (٤٥٨) ، (أمر الخط) .
٤ فتوح البلدان (٤٥٨) ، (أمر الخط) .
٥ فتوح البلدان (٤٥٨) ، (أمر الخط) .
٦ البلاذري ، أنساب (١/١٣٧) ، الاصابة (٤/٣٣٥) ، (رقم ٦٣٢) .
٧ فتوح البلدان (٤٥٨) ، (أمر الخط) .
٨ الاكليل (١/٤٤) .
٩ شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، (تحقيق الدكتور احسان عباس) ، (ص ١٣٨) ، (طبعة الكويت ١٩٦٢) .
١٠ المصدر نفسه .

ويظهر أن ثقيفاً كانت قد حذقت الكتابة وبرزت بها . فقد ورد أن عمر بن الخطاب قال : « لا يملين في مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف » ، وأن عثمان ابن عفان قال : « اجعلوا المملي من هذيل والكاتب من ثقيف »[1] . وذكر أن (غيلان بن سلمة بن معتب) ، وهو ممن أسلم يوم الطـــائف ، كان كاتباً كما كان معلماً[2] .

وورد في الأخبار أن الجاهليين كانوا يضعون الكتب التي ترسل الى الملوك من الآفاق ، عـــلى لوح ضمت اليه ألواح من جوانبه ، فلا تمسها إلا يد الملك ، يأخذ ما يشاء ويترك ما يشاء ويجيب على ما فيها . وفي هذا الخبر دلالة على شيوع الكتابة والمراسلات عند الجاهليين ، وعلى وجود ديوان خاص لدى الملوك ، يتولى النظر في المراسلات . وفي هذا المعنى ورد في شعر لبيد :

أو مذهبٌ جدد على ألواحـ ـهن الناطق المبروز والمختوم[3]

ويظهر ان قوماً من الشعراء كانوا يكتبون ويقرأون . ومنهم من كان على ثقافة وعلم . ورد في شعر للشاعر (لبيد) قوله :

وجلا السيولُ عن الطلول كأنها زُبر تجدّ متونهـــا أقلامها[4]

ولا يمكن صدور هذا البيت ، إلا من رجل كاتب له ذكاء حاد ، وربما كان ذلك الشاعر كاتباً يدون شعره ويحفظه عنده ، فوصفه مثل هذا للطلول ، لا يمكن أن يقال إلا من رجلٍ له علم بالكتابة ، وحذق ودراية .

وفي البيت الآتي :

فمدافع الريّان عُرّي رسمهـــا خلقاً كما ضمن الوحي سِلامها

إشارة الى الكتابة كذلك ، فالوحي هو الكتابة ، والسِّلام الحجارة ، أي كان

---

١ ابن فارس ، الصاحبي (٢٨) .
٢ المحبـــر (٤٧٥) .
٣ شرح ديوان لبيد (ص ١١٩) .
٤ شرح ديوان لبيد (ص ٢٩٩) ، بلوغ الارب (٣ /٣٦٧ وما بعدها) .

ما بقي من رسمها بعد أن عريت ، مثل ما يبقى من الكتابة في الأحجار[1]. ويؤخذ من ذلك ان الحجارة كانت – كما ذكرت في مواضع من هذا الكتاب – مادة من مواد الكتابة عند الجاهليين .

وفي شعر لبيد :

فتعاف صارةَ فالقنـــان كأنها زُبر يرجعها وليد يمان
مُتعود لحنٌ يعيد بكفّـــه قلماً على عُسب ، ذبلن وبان[2]

دلالة واضحة على إلمامه بالكتابة والقراءة ، وعلى وقوفه على خط أهل اليمن ، وعلى دراسة غلمان اليمن للزبر ، وهي الكتب .

بل ورد : ان لبيداً كان يدون شعره ، ويهذبه بعد كتابته ، وانه كان يكتب. روي : « ان عمر بعث الى المغيرة بن شعبة ، وهو على الكوفة ، يطلب اليه أن يستنشد من قبله من شعراء الكوفة ما قالوه في الاسلام . فأجابه الأغلب ، وردّ عليه لبيد قائلاً : إن شئت ما عفى عنه – يعني الجاهلية – فقال : لا ، أنشدني ما قلت في الاسلام . فانطلق ، فكتب سورة البقرة في صحيفة ، ثم أتى بها ، وقال : أبدلني اللهُ هذه في الاسلام مكان الشعر . فكتب المغيرة بذلك الى عمر ، فنقص عطاء الأغلب خمس مئة ، وجعلها في عطاء لبيد »[3] .

وكان الشاعر (المرقش) ، وهو من شعراء الحيرة ، كاتباً قارئاً ، تعلم الكتابة والقراءة في (الحيرة) مع أخيه (حرملة) عند رجل من أهل الحيرة[4] . وكذلك كان الشاعر (لقيط بن يعمر الإيادي) كاتباً قارئاً ، وقد عرف بين أهل الأخبار بـ (صحيفته) التي أرسلها الى قومه (إياد) ، ينذرهم فيهـا بعزم (كسرى) على غزوهم ، وهي قصيدة افتتحت بهذا البيت :

---

١ شرح ديوان لبيد (ص ٢٩٧) .
٢ شرح ديوان لبيد (ص ١٣٨) .
٣ شرح ديوان لبيد (ص ٢٨ ، ٣٦) ، الاغاني (١٥/١٣١) .
٤ الأغاني (٦/١٣٠) ، المفضليات (٤٥٩ وما بعدها) .

سلام في الصحيفة من لقيط الى مـــن بالجزيرة من إياد[1]

ويجب ألا ننسى الشاعر : (أمية بن أبـي الصلت) الذي لم يكن كاتباً قارئاً حسب ، بل كان واقفاً على كتب أهل الكتاب كذلك ، وكان يقرأها ، ويقتبس منها ، وقد استخدم في شعره ألفاظاً ذكر أنه أخذها من كتب أهل الكتاب[2] .

ونضيف الى من تقدم : (الزبرقان بن بدر)[3] ، و (النابغـــة الذبياني)[4] و (الربيع بن زياد العبسي)[5] ، و (لبيد بن ربيعة العامري)[6] ، و (كعب ابن زهير بن أبـي سلمى)[7] .

ودعوى ان الجاهليين كانوا أميين وعلى الفطرة والبديهة ، لا يحسنون كتابـة وقراءة خلا نفر بمكة وأشخاص بيثرب ، دعوى باردة سخيفة ، لا يمكن لمن له إلمام بأحوال الجاهلية أن يصدق بها . فأهل الأخبار الذين يروون هذه الرواية ، يعودون فيخطئون أنفسهم ، بسرد أسماء رجال من جزيرة العـــرب ومن العراق وبلاد الشأم ، ذكروا انهم كانوا يقرأون ويكتبون ، بل ذكروا أكثر من ذلك، ذكروا ان منهم من كان يقرأ العبرانية أو السريانية ، كالأحناف ، ثم انهـــم يذكرون أخبار مراسلات سادات القبائل في مختلف مواضع جزيرة العرب مـــع الرسول ، ومكاتبة مسيلمة مع النبي وتأليفه كتاباً زعم انه وحي نزل عليـــه من السماء مثل ما نزل على الرسول ، فهل يعقل بعـد ذلك ، قول قائـل ان العرب كانوا أميين ، خلا نفر . وقد رأينا انهم تركوا آلاف الكتابات باللهجات العربية

---

١ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء (١٥٢/١) ، الاغاني (٢٤/٢٠) ، مختارات ابـــن الشجرى (٢ وما بعدها) .

٢ ابن هشام ، سيرة (٤٨/١) ، الاغاني (١٢٣/٣) ، (١٢١/٣ ومـــا بعدها) ، (١٢٩/٤) ، ابن قتيبة ، المعارف (٢٨) ، ابن سعد ، الطبقات (٣٧٦/٥) ، المزهر (٣٠٩/٢) .

٣ الاغاني (١٨٠/٢) .

٤ البغدادي ، الخزانة (٣٩٢/٢ وما بعدها) .

٥ الاغاني (٢٢/١٦ وما بعدها) ، أمالي المرتضى (١٣٦/١) .

٦ ابن قتيبة ، الشعر (٢٣٣ وما بعدها) ، الخزانة (٢١٥/٢) .

٧ ابن قتيبة ، الشعر (٩١/١) ، جمهرة أشعار العرب (٢٤) .

الجنوبية وبالثمودية واللحيانية والصفوية ، بل قد نجد الكتابة في بعض قبائل الجاهلية مثل قبائل الصفاة ، أكثر اتساعاً وانتشاراً مما عليه الحال بين قبائل هذا اليوم .

وبعد ، فالأمية الجماعية التي فرضها أهل الأخبار على الجاهليين ، فجعلوهم أميين مائة بالمائة ، لم تكن أمية صحيحة ، وإنما جاءت من وهم في فهم المراد من المواضع التي أشرت اليها من القرآن ، بدليل مناقضة أهل الأخبار أنفسهم ، بذكر أسماء من ذكرناهم وممن لم نذكرهم ممن كان يقرأ ويكتب بهذا القلم العربي الذي دوّن به القرآن . وبدليل ما أوردته من أقوال المفسرين في الأمية ، من أنها الوثنية ، لا الأمية بمعنى الجهل بالكتابة والقراءة حتماً ، لعدم انسجام هذا المعنى مع تفسير الآيات ، ثم إن القرآن الكريم حين تعرض للأمية ، بمعنى عدم القراءة والكتابة ، قال : « وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ، ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون . وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لأرتاب المبطلون »[1] . فعبر بذلك تعبيراً مبيناً عن معنى عدم القراءة والكتابة ، بأفصح عبارة ، فقال : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك » ، ولو كانت الأمية بهذا المعنى لما أهمل ذكرها في هذا المكان . ومن ذلك الوهم جاءت الأحاديث الضعيفة من أنه كان من أمة أمية لا تحسب ولا تكتب ، ولعاطفة دينية ، شددوا في أمية العرب ، فجعلوها جميعاً أميين ، لاظهار معجزة للرسول — هو في غنى عنها — في أنه ظهر بالنبوة في أمة أمية ، وجاء من الله بأحسن بيان ، وهي حجة له على أهل الكتاب والمشركين .

وبعد ، فقد فهمنا من روايات أهل الأخبار ، ان أهل مكة انما تعلموا الكتابة في عهد غير بعيد عن الاسلام . فهل يعني هذا انهم لم يكونوا يحسنون الكتابة والقراءة قبل هذا العهد أبداً ؟ والذي أراه ان ذلك شيء غير معقول ، وان أهل مكة كانوا يكتبون ويقرأون ، كانوا يكتبون بالمسند ، القلم الذي كتب به أكثر أهل جزيرة العرب قبل الاسلام ، بدليل ما نقرأه في كتب أهل الأخبار من زعمهم ان أهل مكة كانوا يجدون بين الحين والحين كتابات مدونة بالمسند في مقبرة

---

١ العنكبوت ، الاية (٤٦ وما بعدها) .

مكة القديمة وفي مواضع أخرى منها ، وفي عثور الناس على هذه الكتابات دلالة على ان سكان مكة كانوا يكتبون بالمسند أو بأقلام مشتقة منه ، ولا يعقل عـدم استعمال أهل الحجاز لهذا القلم ، وقد وجدنا انه والأقلام المشتقة منه ، قد كونت قلم أهل هذه البلاد قبل الاسلام ، والظاهر انهم وجدوا ان القلم الذي كان يكتب به النبط وبقية العرب ، مثل عرب الحيرة ، كان أسهل استعمالاً ومرونة من القلم المسند البطيء الحركة ، وانه لا يأخذ حجماً كبيراً بالقياس الى الخط العربي الجنوبي ، لذلك فضلوه على هذا القلم ، واستعملوه عوضاً عنه ، دون أن يجروا عليه تحويراً أو تغييراً ، لإصلاح ما فيه من خلل ، فلما جاء الاسلام ، أجرى عليه ما أجرى من تحوير وتغيير وتطوير .